جهود علماء المغرب

في

الدفاع عن عقيدة أهل السنة

دراسة في الصراع العقدي في المغرب العربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الخامس

إعداد الدكتور

إبراهيم التهامي

دكتوراه دولة في العقيدة الإسلامية
من جامعة أم القرى بمكة المكرمة
وأستاذ بجامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة الجزائر

سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

مؤسسة الرسالة ناشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

انتشار بألوان الطيف

مؤسسة الرسالة ناشرون



ص ب : 30597

بيروت - لبنان
هاتف : ٥٤٦٧٢٠ - ٥٤٦٧٢١
فاكس: ٥٤٦٧٢٢ ١ (٩٦١)
ص ب : ١١٧٤٦٠

Resalah Publishers

Tel: 546720 - 546721
Fax: (961) 1 546722
P.O.Box: 117460
Beirut - Lebanon

E-mail:
resalah@resalah.com
Web site:
Http://www.resalah.com

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م

ISBN:9953-32-128-8

١

أولاً : مقاومة الاعتزال

المبحث الأول
دخول الفكر الاعتزالي إلى المغرب و انتشاره به

قبل الحديث عن جهود علماء المغرب في مقاومة الاعتزال و المعتزلة[١] ومقاومة علم الكلام عموماً، يجدر بي أن أشير إلى الأسباب التي مهدت لدخوله إلى المغرب والطرق التي سلكها، حتى نعطي صورة صادقة عن الجانب العقدي في هذا الجزء من العالم الإسلامي، والصراع الذي لم يتوقف بين أهل السنة من جهة والمبتدعة على اختلافهم من جهة ثانية، وقد كنت أشرت غير مرة إلى أن علم الكلام لم يكن مرغوباً فيه في المغرب، وكان رجاله منبوذين من قِبل علماء السنة الذين ناصبوا العداء كل اتجاه منحرف عن اتجاه أهل السنة.

---

(١) اختلف الناس في أصل تسمية المعتزلة بهذا الاسم إلى ثلاثة مذاهب :

الأول : يرى أصحابه أن بدايتهم من عهد الصحابة وأن مذهبهم هو المذهب الحق، و هو قول المعتزلة حيث يقول عبد الجبار : و هذا المذهب أي مذهب المعتزلة هو الذي أنزل الله به الكتاب و أرسل به الرسل و جاء به جبريل عليه السلام. (ص٢١٣) .

المذهب الثاني : يرى أصحابه أن بداية نشأة المعتزلة كانت سنة ٤٠هـ عندما تنازل الحسن بن علي ﷺ لمعاوية ﷺ و في ذلك يقول الملطي في: التنبيه و الرد على أهل الأهواء و البدع (ص٣٦) " و هم سموا أنفسهم معتزلة و ذلك عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية و سلم إليه الأمر. اعتزلوا الحسن و معاوية و جميع الناس، و ذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، و لزموا منازلهم و مساجدهم و قالوا : نشتغل بالعلم و العبادة فسموا بذلك المعتزلة.

و الاعتزال هنا إنما هو من ناحية اللغة فقط، أما من ناحية الاعتقاد و الفكر فلم يكن لهم اعتقاد خاص يميزهم عن غيرهم.

المذهب الثالث: وهو مذهب جمهور مؤرخي الفرق، الذين يرون أن البداية الحقيقية لظهور فرقة المعتزلة كانت على عهد واصل بن عطاء المؤسس الأول لفرقتهم، والسبب في ظهورهم أن رجلاً دخل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة وهم وعيدية الخوارج، وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة وهم مرجئة الأمة فكيف تحكم لنا اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقاً ولا كافر مطلقاً، بل في منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، ثم قام=

ولم يجد علم الكلام له نشاطاً واسعاً في المغرب، ولم يلق من التشجيع وكثرة الأنصار ما لقيه في المشرق، وما من شك أن المذهب المالكي وهو صاحب السيادة المذهبية في هذا الجزء من العالم الإسلامي لعب دوراً في فرض نفوذه ومحاربة أي مذهب أو فكر ديني آخر.

إلا أن هذا لا يعني أن المغرب كان خالياً تماماً من هذا النوع من الفكر، بل المصادر تشير إلى أنه رغم العداء المستحكم من قبل أهل السنة المغاربة لعلم الكلام فقد وجد له أنصار، وفي ذلك يقول الإمام ابن حزم: «وأما علم الكلام فإن بلادنا وإن كانت لم تتجاذب فيها الخصوم ولا اختلفت فيها النحل، فقل لذلك تصرفهم في هذا الباب، فهي على كل حال غير عرية عنه، وقد كان فيهم قوم يذهبون إلى الاعتزال، نظار في أصول الدين ولهم فيه تآليف»[١]، ثم ذكر جملة منهم يأتي ذكرهم في سياق الحديث.

ولقد كانت المعتزلة من أقدم الفرق دخولاً إلى المغرب ومن أكثرها تأثيراً فيه، ولكن الذي يلاحظ بادئ ذي بدء أن المعلومات المتوفرة عن هذه الفرقة وفكرها، نادرة جداً، فما هي إلا إشارات عابرة لا تكاد تفي بالمقصود وتراجم رجالها أيضاً نادرة.

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علماء المغرب من أهل السنة لم يكونوا يرون المبتدعة من العلماء، ولا يعدون خلافهم خلافاً، ولذلك أسقطوهم من طبقاتهم التي ألفوها في الرجال؛ وهو نوع من أنواع المقاومة لفكرهم، على الرغم من أن كثيراً منهم كان لهم بروز في فنون أخرى من العلوم كالفقه واللغة، ولكن ذلك لم يشفع لهم عند المغاربة ما دام الأصل غير سليم.

وقد تقدم كلام ابن عبد البر في هذا المعنى وهو قوله: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وأهواء وزيغ ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه»[٢].

= واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة.
انظر الشهرستاني في الملل والنحل (١/ ٤٧-٤٨)، والفرق بين الفرق (ص ١١٨)

(١) رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥).

ويقول في موضع آخر: «وليسوا عند أحد من أهل العلم ممن يعرج على قولهم ولا يعدون خلافهم خلافاً»[١].

ولكن رغم ذلك كله، فإن الباحث يستطيع من خلال تلك الإشارات المتوفرة أن يرسم صورة عن دخول الاعتزال إلى المغرب، والأسباب التي ساعدت على انتشاره والصراع الذي نشب بين علماء السنة من جهة ورجال الاعتزال من جهة ثانية.

ويمكننا أن نقسم الأسباب التي ساعدت على دخول الاعتزال إلى المغرب إلى أسباب مباشرة وأسباب غير مباشرة، وأقصد بالأسباب المباشرة وفود بعض رجال الاعتزال على المغرب من المشرق لنشر الاعتزال به، وتذكر المصادر في هذا الصدد أن واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ)[٢] رأس المعتزلة وأحد مؤسسي مذهبهم، أرسل داعيته عبد الله بن الحارث[٣] إلى المغرب للدعوة لهذا المذهب.

وكانت عادة مؤسسي المذاهب إرسال دعاتهم إلى البلاد المختلفة للدعوة لمذاهبهم ونشرها في الناس، فكان عبد الله بن الحارث من نصيب المغرب[٤].

وقد تمكن هذا الرجل من اجتذاب كثير من سكان البربر إلى دعوته، وامتد تأثيره حتى بلغ مساحات واسعة من بلاد المغرب مما جعل ياقوت الحموي يذكر أن «مجمع الواصلية (أصحاب واصل بن عطاء) كان قريباً من تاهرت[٥]، وكان عددهم نحو

---

(١) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٢٤) نقلاً عن الاستذكار (٥/ ٤٩٤).

(٢) هو: أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، ولد في المدينة المنورة سنة ٨٠هـ عاش في البصرة حيث كان يحضر دروس الحسن البصري، كان متكلماً بليغاً، ويعد مؤسس مدرسة الاعتزال، وسمي أصحابه معتزلة، لأنهم اعتزلوا مجلس الحسن البصري لاختلافه معهم في حكم مرتكب الكبيرة، حيث يجعله المعتزلة في منزلة بين المنزلتين توفي سنة ١٣١هـ.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٦/ ٧-١١) رقم: ٧٦٨، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤-٤٦٥) رقم: ٢١٠، النجوم الزاهرة (١/ ٣١٣-٣١٤)، شذرات الذهب (١/ ١٨٢).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام (ص ٣٥٠).

(٥) تاهرت: بفتح الهاء وسكون الراء. اسم لمدينة تقع غرب الجزائر، كانت قديماً تسمى عراق المغرب وتشتهر ببردها حتى قال الشاعر فيها:

نفرح بالشمس إذا ما بدت ... كفرحة الذمي بالسبت

وتشتهر بفواكهها الكثيرة. انظر عنها معجم البلدان (٢/ ٧-٩).

الثلاثين ألفاً في بيوت كبيوت الأعراب يحملونها»[١].

ولعل السبب في سرعة انتشار الاعتزال في تلك القبائل، أن أهلها كان عندهم استعداد زائد لتقبل أي دعوة جديدة، ففي هذه القبائل كانت قد انتشرت من قبل الديانة البرغواطية[٢] فوجد ابن الحارث في هذه القبائل تربة صالحة لنشر مذهبه.

إلى جانب الأسباب المباشرة لدخول الاعتزال إلى المغرب هناك أسباب غير مباشرة، وهي كثيرة، ولولاها ما كان لهذا المذهب أن يكتب له الانتشار، ولا ذلك التأثير الكبير.

وتتمثل هذه الأسباب في وفود بعض الأقوام من الشام ومن العراق ممن يدينون بالفكر الاعتزالي مع الولاة في أوقات مختلفة، واحتلالهم الوظائف الإدارية والعسكرية، فكان لهم بذلك دور كبير في التمكين للاعتزال بالمغرب[٣].

ومنها أيضاً تمذهب معظم الأمراء الأغالبة[٤] بالاعتزال، ولا شك أنهم كانوا في ذلك مقلدين لمن انتسب لمذهب المعتزلة من خلفاء بني العباس أمثال المأمون والمعتصم والواثق كما هو معروف.

ومن الأسباب غير المباشرة أيضاً رجوع بعض من رحل من المغرب بعد أن تشبعوا بأفكار المعتزلة التي درسوها على رجالها المختصين الذين كانوا ينتشرون في المشرق، وكان لهؤلاء دور كبير أو أثر عميق في نشر آراء المعتزلة ومعتقداتهم، أمثال سليمان بن

---

(١) معجم البلدان (٢/ ٧-٩).

(٢) الديانة البرغواطية: نسبة إلى برغواطة وهي أخلاط من قبائل شتى من البربر، اجتمعوا إلى صالح بن طريف بقرية بالريف، حيث ادعى النبوة أيام هشام بن عبد الملك وأصله يهودي من برباطة (حصن من عمل شذونة بالأندلس) مشعوذ نزل بين أولئك البربر وقد ساد فيهم الجهل، فأظهر الإسلام والزهد والصلاح، فخُدعوا به حتى اعترفوا له بالولاية فقدموه على أنفسهم، فشرع لهم ما هو شبيه بالمجوسية كنكاح بعض ذوات المحارم، وغيّر العبادات الإسلامية وحرم عليهم أكل الرأس من الحيوان. فيقال لمن اتبعه ودخل في ديانته: برباطي فعربته العرب فقالوا: برغاطي وبرغواطة.
انظر عن هذه الديانة (البيان المغرب) (١/ ٥٧)، دائرة المعارف الإسلامية (٣/ ٥١٦).

(٣) عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية (ص ٩٣).

(٤) بنو الأغلب: أسرة غلبت على إفريقية (تونس) طوال القرن التاسع الميلادي أسسها إبراهيم بن الأغلب، وكان إذ ذلك عاملاً على الزاب.
انظر دائرة المعارف الإسلامية (٢/ ٣٢٦-٣٢٩).

أبي عصفور المعروف بالفراء[١] أحد الفقهاء الأحناف في العهد الأغلبي، رحل إلى العراق، ثم عاد يطرح العقائد الاعتزالية التي تلقاها عن أئمة الاعتزال بالمشرق أمثال: بشر المريسي وأبي الهذيل[٢] وغيرهما، عبر التأليف، حيث كان قد ألف عدة مؤلفات في الجانب العقدي على طريقة المعتزلة مثل: "أعلام النبوة"، وعدة كتب في "خلق القرآن"، وقد تميز الرجل بقدرة فائقة على الجدل والمناظرة، وبخاصة فيما يتعلق بالقرآن، ويعتبر يحيى بنُ عونٍ سليمانَ بنَ عصفور قام بنفس الدور الذي قام به بشر المريسي في المشرق، حيث نشر البدعة في كل مدينة من مدن المغرب وكل زاوية من زواياه، وأصبح هو شيخ المعتزلة بالقيروان.

وهناك فقيه حنفي آخر، هو عبد الله بن الأشج (لم يذكر المؤرخون سنة وفاته[٣])، رحل إلى العراق ثم عاد إلى القيروان، ليساهم في نشر الفكر الاعتزالي، وكان من أهل المناظرة والجدل، وعند عودته سأل: فيم يتكلم أهل القيروان؟ فقيل له: في الأسماء والصفات. فقال: إنما تركت الناس في العراق يتكلمون في مسألتين: مسألة القدر، ومسألة الوعد والوعيد[٤].

وكان أول من أدخل الاعتزال إلى الأندلس ـ كما تذكر المصادر ـ طبيب أديب قرطبي لم تذكر اسمه، رحل إلى المشرق في القرن الثالث الهجري، وحضر مجالس الدرس في العراق وعاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ[٥].

(١) هو: سليمان بن حفص بن أبي عصفور الإفريقي. كان معتزلياً، يقول بخلق القرآن توفي سنة ٢٦٩هـ. مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢١٩). وانظر أيضاً كتاب البيان المغرب (١/ ١١٩)، الكامل لابن الأثير (٧/ ٣٩٨) ط بيروت ١٩٦٥.

(٢) هو: أبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي. المعروف بالعلاف. متكلم مع شيوخ البصريين في الاعتزال، ولد بالبصرة وورد بغداد. ورد على المجوس واليهود والملحدين وغيرهم. وعمي وخرف في آخر عمره توفي سنة ٢٣٠هـ. وكانت ولادته سنة ١٣١هـ وقيل: ١٣٤هـ. مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٣/ ٣٦٦-٣٧٠) رقم: ١٤٨٢، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٥-٢٦٦) رقم: ٦٠٦، شذرات الذهب (٢/ ٨٥).

(٣) ترجمة في طبقات الخشني (ص ٢٢٠).

(٤) ن ـ م (ص ٢٢٠).

(٥) تاريخ الفكر الأندلسي ترجمة حسين مؤنس (ص ٣٢٤-٣٢٥).

وممن رحل إلى المشرق أيضاً وعاد بكتب الاعتزال إلى المغرب فرج بن سلام القرطبي[١] الذي لقي في رحلته أبا عثمان الجاحظ، وأخذ عنه كتابه "البيان والتبيين" وغيره من كتبه، وأدخلها إلى الأندلس رواية عنه؛ وفي ذلك يقول ابن الفرضي: «دخل العراق فلقي عمرو بن بحر الجاحظ وأخذ منه كتاب "البيان والتبيين" وغير ذلك من مكتوباته وأدخلها الأندلس رواية عنه»[٢].

وقد عد "أسين بلاسيوس" في بحثه عن ابن مسرة بالإسبانية الذي نشره بمدريد فرج ابن سلام هذا من أوائل من أدخلوا تعاليم المعتزلة إلى المغرب بفضل جهوده في إدخال كتب الجاحظ ونشرها في هذه البلاد[٣].

وممن رحل إلى المشرق من رجال الاعتزال أيضاً، وكان له دور كبير في بث تعاليمهم بالمغرب خليل بن عبد الملك بن كليب[٤]، المعروف بخليل الغفلة أو الفضلة، وهو من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وبعد عودته إلى الأندلس أعلن مذهبه الاعتزالي، ودخل في صراع ومواجهة مع أئمة المغرب السنيين[٥] وسيأتي ذكره في المقاومة.

وهناك سبب آخر مهم من الأسباب غير المباشرة، وهو أن العالم الإسلامي كان يتميز بوحدة ثقافية، فما يقع في المشرق يجد له صدى في المغرب، وكذلك ما يقع في المغرب يجد له صدى في المشرق ولكن بدرجة أقل.

يقول ماهر حمادة: «كانت للبلاد الإسلامية وحدة ثقافية رغم التجزئة السياسية التي أصابها، وجعلت منها عدداً من الدويلات الهزيلة المنقسمة، وكانت الأفكار والكتب والبضائع والأشخاص تنتقل بحرية تامة، والأغلب أن انتقال الكتب كان يتم من المشرق

---

(١) هو: أبو بكر فرج بن سلام، كان معتنياً بالأخبار والأشعار والأدب وكان يطبب، رحل إلى المشرق، ودخل العراق فلقي الجاحظ وأخذ منه.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٣٥٠) رقم: ١٠٣٧، وانظر: التعليق رقم: ٣٣٣ من (ص ٥٣٧) من كتاب: المقتبس لابن حيان.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (١/ ٣٥٠).

(٣) انظر المقتبس (ص ٥٣٧) التعليق رقم (٣٣٣).

(٤) هو: خليل بن عبد الملك بن كليب. المعروف بخليل الفضلة. من أهل قرطبة رحل إلى المشرق وكان يعلن بالاستطاعة. وكان في بدء أمره صديقاً لمحمد بن وضاح ثم لما تبين له أمره هجره.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٣٩-١٤٠) رقم: ٤١٩.

(٥) تاريخ ابن الفرضي (١/ ١٤٠).

إلى المغرب حيث إن الشرق كان في عصوره الأولى على الأقل متقدماً على المغرب في التأليف»[١]، ومن هنا فلا يعقل أن يكون المشرق الإسلامي يعج بهذه الآراء والمعتقدات والمذاهب دون أن يكون للمغرب فيها نصيب.

هذه هي الأسباب التي رأيت أنها كانت أساسية في نقل الاعتزال إلى المغرب وانتشاره به، ونتيجة لذلك فقد تأثر بهذا المذهب قليلاً أو كثيراً عدد كبير من رجال المغرب، كانت لهم مساهمة فيها بعد في الحياة العلمية في المغرب ومشاركة في الصراع ضد أهل السنة الذين قاوموهم بكل الوسائل كما يأتي ذكره في موضعه.

رجال المغرب الذين تأثروا بالاعتزال:

لقد تأثر كثير من رجال المغرب بالآراء الاعتزالية، وتمذهبوا بمذهبهم كما تقدم، فكانوا هدفاً لمقاومة أهل السنة، حيث لم يتركوا وسيلة تمكنهم من القضاء على الاعتزال إلا استعملوها.

لقد كان ابن أبي الجواد[٢] ممن قاد المدرسة الاعتزالية بالمغرب، وكان مذهبه مذهبهم، وكذلك الحال بالنسبة لأبي إسحاق المعروف بالعمشاء[٣] الذي كان من أعلام رجالهم، وكان يذهب إلى القول بخلق القرآن ويناظر فيه المناظرة الشديدة[٤]، ومن أكثر رجالهم تصرفاً في الكلام والجدل أبو الفضل المعروف بابن ظفر[٥] الذي كان يقول بخلق القرآن ويناظر فيه[٦].

ورجل آخر يدعى محمد الكلاعي[٧]، كان أيضاً من أهل المناظرة والجدل على

---

(١) الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس (ص ٢٠٠).
(٢) انظر عن ترجمته طبقات الخشني (ص ٢٢٧-٢٣٦).
(٣) كان من أعلام رجال المعتزلة في الكلام، عرف بالعمشاء لأنه أعمش العينين، وكان له أصحاب وأحزاب يجالسونه ويختلفون إليه، وكان يحسن الفرائض وصحب ابن عبدون. ولم تذكر المصادر سنة وفاته. مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٢١).
(٤) نفس المصدر (ص ٢٢١).
(٥) كان من أهل الرسوخ في علم الطب، وكان شاعراً أديباً، ابتلي في آخر أيامه بمرض الجذام، فاحتجب أياماً في بيته ثم مات. مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٢١).
(٦) نفس المصدر (ص ٢٢١).
(٧) انظر ترجمته في طبقات الخشني (ص٢٢١).

مذهب المعتزلة، وكان يظهر بالقول بخلق القرآن ولا يتخفى، ولا يداري بل يتحدى، وقد ألف فيه كتاباً يناقض فيه على ابن الحداد كما سيأتي في المقاومة.

ومنهم: محمد المعروف بالمسحي[١] الذي كان في مقدمتهم في المناظرة في خلق القرآن، وكان المعتزلة يقصدونه، خرج إلى الحج فمات في الطريق[٢].

ومنهم: رجل يدعى ابن أبي روح ويلقب بالبغلة[٣] كان معنياً بالجدل في خلق القرآن، وفي الأسماء والصفات.

ومنهم: عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى (ت ٢٦١ أو٢٦٢هـ)[٤] فقد كان على جلالة قدره وعلمه قد طالع كتب المعتزلة ونظر في كلام المتكلمين، وكان يذهب إلى أن الأرواح تموت، وكان ينسب إلى القدر.

ومنهم أيضاً: محمد بن الأسود الصديني[٥] الذي كان على مذهب المعتزلة، وتبوأ منصب القضاء في الدولة الأغلبية وعسف وظلم، وصفه القاضي عياض بأنه: «كان خبيثاً معتزلياً»[٦] وقد امتحن عدداً من علماء السنة كما يأتي.

ومنهم: عبد الله بن مسرة (ت ٢٨٦هـ)[٧] فقد كان متأثراً بالاعتزال، وكان متهماً بالقدر.

---

(١) انظر عنه طبقات الخشني (ص٢٢٢).

(٢) نفس المصدر (ص ٢٣٢).

(٣) طبقات الخشني (ص ٢٢٢).

(٤) هو: أبو وهب عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى مولى قريش من أهل قرطبة، سمع من يحيى ابن يحيى، ورحل إلى المشرق، فسمع من مطرف بن عبد الله المدني، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج. وبتونس من سحنون وأخذ عنه محمد بن وضاح وغيره. كان رجلاً عاقلاً حافظاً للرأي مشاركاً في النحو واللغة وكان زاهداً، ولم تكن له معرفة بالحديث توفي سنة ٢٦١ أو ٢٦٢هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢٨٠-٢٨٢) رقم: ٨٣٧.

(٥) ترتيب المدارك (١/ ٧٠-٧١).

(٦) المصدر نفسه.

(٧) هو: أبو محمد عبد الله بن مسرة بن نجيح من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق وسمع بالبصرة من عدد كبير من العلماء. توفي سنة ٢٨٦هـ وهو والد محمد بن مسرة الفيلسوف الشهير.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (١/ ٢١٧-٢١٨) رقم: ٦٥٢.

ومنهم: يحيى بن يحيى (ت ٣١٥هـ)[١] المعروف بابن السمينة، وهو تلميذ خليل بن عبد الملك بن كليب ـ سبق ذكره ـ فقد كان هو الآخر من رجال الاعتزال بصيراً بالاحتجاج والكلام، يذهب مذاهب المتكلمين، وكان يقول بالاستطاعة ويعلن بذلك، وقد أخذ القول بالاستطاعة ـ كما يقول ابن الفرضي ـ عن شيخه عبد الملك بن كليب[٢].

وممن تأثر بآراء المعتزلة وغيرها من الآراء المنحرفة عن السنة، وكان له سهم في جميعها حتى أصبح له مذهب مستقل ينسب إليه، وتلاميذ ومريدون يأخذون عنه وينتمون إليه، وينشرون أفكاره: محمد بن عبد الله بن مسرة، وسيأتي الحديث عنه بتوسع في فصل التصوف، لكني أذكر هنا ما يتعلق بآرائه الاعتزالية التي عرف بها، فقد كان خرج إلى المشرق واشتغل بلقاء أهل الجدل وأصحاب الكلام من المعتزلة.

ومن آرائه التي كان يقول بها والتي تدل على تأثره بالفكر الاعتزالي، قوله بالاستطاعة وإنفاذ الوعيد والقدر، يقول ابن حزم: «وكان محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح الأندلسي يوافق المعتزلة في القدر»[٣].

وكان يقول: «إن علم الله وقدرته صفتان مخلوقتان، وكان يقول: إن لله تعالى علمين: **أحدهما**: علم الكتاب، وهو علم الغيب كعلمه تعالى أنه سيكون كفارٌ ومؤمنون، والقيامة والجزاء ونحو ذلك، **والثاني**: علم الجزئيات، وهو علم الشهادة وهو كفر زيد وإيمان عمرو ونحو ذلك، فإنه تعالى لا يعلم من ذلك شيئاً حتى يكون»[٤]، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

ومن رجالهم أيضاً رجل يدعى أحمد بن عبد الوهاب بن يونس المعروف بابن صلى الله (ت ٣٦٩هـ)[٥]، فقد كان بصيراً بالحجاج، وكان ينسب إلى الاعتزال، وعبد

---

(١) هو: أبو بكر يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة رحل إلى المشرق، وتوفي سنة ٣١٥هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٨٨) رقم: ١٥٨٠.

(٢) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١٨٨).

(٣) الفصل لابن حزم (٤/ ١٩٨).

(٤) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٩٨).

(٥) هو: أبو عمر أحمد بن عبد الوهاب بن يونس، يعرف بابن صلى الله. من أهل قرطبة كان ذكياً حافظاً للفقه عالماً بالاختلاف. يميل إلى مذهب الشافعي. له سماع من شيوخ وقته. كما أن له حظاً وافراً من العربية توفي سنة ٣٦٩ أو ٣٧٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس(١/ ٤٧) رقم: ١٥٤.

الوهاب بن منذر القرطبي (ت ٤٣٦هـ) [١] الذي اتهم هو الآخر بالاعتزال وتركه الناس من أجل ذلك، وكان قد ألف كتاباً في القدر والقرآن على مذهب المعتزلة[٢].

وممن كان على مذهب المعتزلة من أهل الأندلس، بل من شيوخهم ـ كما يذكر ذلك ابن حزم ـ موسى ابن حدير[٣] صاحب السكة، يقول في بعض رسائله التي جرت بينه وبين منذر بن سعيد البلوطي: إن الله عاقل[٤]، وكذلك كان أخوه الوزير أحمد[٥] الذي كان داعية إلى الاعتزال لا يتستر من ذلك[٦]، ومنهم: هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكناني (ت ٤٠٠هـ)[٧] الذي كان أحد رجال الكمال في عصره باحتوائه على فنون المعارف حتى كان يقال فيه كما قال الشاعر:

وكان من العلوم بحيث يقضى له في كل علم بالجميع[٨]

وكان بصيراً بأصول الاعتقادات، وأصول الفقه والفرائض والحساب، واقفاً على كثير من فتاوى فقهاء الأمصار وغير ذلك.

---

(١) هو: أبو عاصم عبد الوهاب بن منذر القرطبي، كان ناكساً عفيفاً منقبضاً عن الناس كثير الصلاة، لولا اعتزال كان فيه. توفي سنة ٤٣٦ هـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (٢/ ٣٨٠) رقم: ٨١٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) هو: موسى بن محمد بن حدير الحاجب. كان في أيام عبد الرحمن الناصر، وكان من أهل الأدب والشعر ومن أهل بيت رياسة وجلالة.
مصادر ترجمته: بغية الملتمس (٤٣٩-٤٤٠) رقم: ١٣٢٠، رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٤) الفصل (٤/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٥) هو: أبو عمر أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن حيدر. قرطبي ولي خطة الوزارة وأحكام المظالم. كان مهيباً، حج سنة ٢٧٥هـ وتوفي سنة ٣٢٧هـ.
مصادر ترجمته: رسائل ابن حزم (١/ ١٥٥) (٢/ ١٨٦).

(٦) رسائل ابن حزم (٢/ ١٨٦).

(٧) هو: أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد الكناني الأندلسي الطليطلي، أخذ عن أبي عمرو والطلمنكي وغيره. كان من أعلم الناس بالنحو واللغة والعروض، وكان حافظاً للسنن. توفي سنة ٤٠٠هـ.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١٣٤-١٣٦) رقم: ٧١، الصلة (٢/ ٦٥٣-٦٥٤) رقم: ١٤٣٦، معجم البلدان (٥/ ٢٢٣)، نفح الطيب (٣/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٨) الصلة (٢/ ٦٥٣).

ويذكر ابن حزم من أهل الاعتزال في الأندلس حكم بن منذر بن سعيد البلوطي[١]، الذي كان على قول ابن حزم: «رأس المعتزلة بالأندلس وكبيرهم وأستاذهم وناسكهم»[٢].

إلى جانب رجال المغرب الذين تأثروا بالفكر الاعتزالي، فقد وفد على المغرب في فترات متفرقة بعض معتزلة المشرق، الذين كانت لهم بالطبع مساهمة لا يستهان بها في نشر الفكر الاعتزالي بالمغرب، أمثال: محمد بن أحمد الشافعي (ت ٣٨٠هـ)[٣] الذي وفد على الأندلس في أيام الخليفة الحكم فأنزله منزلاً كريماً، ثم نقم عليه وسخط لما علم أنه يعتنق آراء اعتزالية، ويعمل على نشرها في الناس[٤].

ويذكر ابن الأبار أنه دخل في آخر القرن الخامس إلى الأندلس رجل مشرقي من أعلام الكلام فنزل بمرسية[٥]، وأخذ في إثارة كثير من المسائل حول خلق القرآن، ونزول الرب إلى السماء الدنيا وأمثال ذلك من قضايا الاعتزال، فلم يجد أمامه من يفند أقواله ويرد شبهاته، فانطلق رجل من أهل مرسية إلى طليطلة لمقابلة عالمها الكبير عبد الرحمن ابن أحمد بن المشاط[٦]، فعرض عليه تلك المسائل، فرد على كل منها

---

(١) هو: أبو العاصي حكم بن منذر بن سعيد بن عبد الله، من أهل قرطبة، روى عن أبيه ورحل إلى المشرق ودخل مكة وأخذ عن علمائها. وروى عنه ابن عبد البر وغيره. وكان من أهل المعرفة والذكاء، متقد الذهن. توفي سنة ٤٢٠هـ.
مصادر ترجمته: الصلة لابن بشكوال (١/ ١٤٨) رقم: ٣٣٥.

(٢) رسائل ابن حزم (١/ ١٥٧).

(٣) هو: أبو الطيب محمد بن أحمد بن إبراهيم ابن أبي بردة الشافعي البغدادي، سمع الحديث ببغداد من أبي القاسم البغوي وابن مجاهد وغيرهما. تفقه للشافعي على أبي إسحاق المروزي وغيره. حج ودخل مصر، ووصل إلى الأندلس سنة ٣٦١هـ، وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعي ولكن لم تكن له كتب. توفي في تيهرت عند بنت له، لما أخرج من الأندلس بسبب اعتناقه آراء اعتزالية.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٢/ ١١٤) رقم: ١٤٠٣، ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٥) رقم: ٧١٨٣.

(٤) تاريخ علماء الأندلس (٢/ ١١٤)

(٥) مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين وياء مفتوحة خفيفة وهاء. مدينة بالأندلس اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام. وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها.
انظر عنها معجم البلدان (٥/ ١٠٧)، الآثار الأندلسية الباقية لمحمد عبد الله عنان (٩٩ ـ ١٠٢).

(٦) لم أعثر له على ترجمة.

بجواب، ووضع لتلك الردود عنواناً هو: "كشف جمل التعطيل بحجج من الأثر والنظر والتنزيل"[١].

هذه جملة من رجال الاعتزال بالمغرب الإسلامي آثرت أن أقدم بها لموضوع مقاومة بدعة الاعتزال من قِبل علماء المغرب حتى تكون لدينا فكرة وخلفية عن حجم الوجود الاعتزالي، ومن ثم تعرف مدى ما حققته المقاومة من نتائج.

  

(١) معجم ابن الآبار (ص ٢٧٧).

المبحث الثاني
المقاومة

(١) أسباب المقاومة:

لم تأت مقاومة علماء السنة المغاربة لبدعة الاعتزال من فراغ، أو عن تعصب كما يرى البعض، بل كانت هناك أسباب كافية لحملهم على هذه المقاومة وإشعال فتيلها.

أولى هذه الأسباب: أن أهل المغرب كانوا يقاومون كل فكر منحرف عن منهج أهل السنة مهما كان انحرافه، لا يفرقون بين أحد منهم، وعلى ذلك قاوموا الاعتزال والتشيع والفكر الخارجي، كما قاوموا كل من درس الفلسفة والمنطق.

ومن هنا جاءت مقاومتهم للاعتزال الذي كانوا يرون فيه انحرافاً واضحاً عن السنة، ومخالفةً صريحةً لها؛ من تقديم العقل على الشرع وجعله متحكماً في النصوص الشرعية يفسرها كيف يشاء، وهذه أكبر جناية، وهي كافية وحدها على جعل أهل السنة يقفون في وجه من ينتحل هذه النحلة ويقول بها.

ومسلك المعتزلة هذا هو الذي أوقعهم في المحظور من مخالفة صريح القرآن والسنة، حيث نفوا الصفات، ونفوا رؤية الله في الآخرة كما ابتدعوا القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من البدع المنكرة.

السبب الثاني: هو محاولة فرض آرائهم هذه على الناس وحملهم عليها بالقوة، ولو أنهم اكتفوا بضلالهم وانحرافهم في أنفسهم لكان الأمر هيناً، ولكن عندما يفرض على الناس ويصبح هو المذهب الرسمي ومذهب الحق، وما دونه هو الباطل، ويصبح من يخالفه مخالفاً للحق يجب عقابه، عند ذلك تصبح المقاومة واجبة وهو ما حصل بالفعل. فعندما اعتنق بنو الأغلب مذهب الاعتزال عملوا على فرضه على الناس، وبلغ ببعضهم "أن كتب السجلات بخلق القرآن وأمر بقراءتها على المنابر وأن يحمل الناس عليها"[١] ونتج عن ذلك المحنةُ التي تعرض لها علماء السنة عندما رفضوا هذا السلوك، وقاوموه ووقفوا في وجهه تماماً كما حصل في المشرق في محنة خلق القرآن.

السبب الثالث: من أسباب المقاومة: هي المحنة التي تعرض لها علماء السنة

---

(١) عياض: تراجم أغلبية (٢٤٤).

المغاربة على يد المعتزلة. لقد تعرض علماء المغرب لمحنة شديدة وقاسية من قبل أمراء بني الأغلب المعتزلة، نتيجة لتشددهم تجاه القضايا التي كانوا يسعون لفرضها على الناس بالقوة، وبخاصة مسألة خلق القرآن، يقول الدباغ: إن أهل القيروان امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق، وعزم محمد بن الأغلب على قتل محمد بن سعيد، فما زال أهل القيروان على اعتقاد أهل السنة[١].

وحدث في عهد أحمد بن الأغلب أن أخذ الناس بالمحنة، وتشدد عليهم حتى فر أكثر الفقهاء قائلين قولتهم المشهورة: "البدعة فاشية وأهلها أعزاء".

وممن امتحن على أيديهم من الأئمة الكبار الإمام سحنون بن سعيد، وكان أبو جعفر موسى بن معاوية ممن امتحن على أيديهم في مسألة خلق القرآن، امتحنه ابن أبي الجواد المعتزلي في زمن توليه القضاء، حيث سأله عن القرآن، فقال موسى: سمعت فلاناً وفلاناً وفلاناً، وذكر جماعة من أهل العلم يقولون لمن قال: القرآن مخلوق كافر، فكان هذا سبب محنته[٢].

ولما تولى محمد بن الأسود الصديني القضاء بالقيروان ـ وهو الذي قال فيه القاضي عياض ـ كما تقدم ـ: كان خبيثاً معتزلياً ـ "عسف وظلم، وكان ممن امتحن على يديه أبو جعفر القصري[٣] وأبو إسحاق ابن البردون، ولم تطل مدة هذا القاضي، فقد استجاب زيادة الله ابن العباس لرغبة أهل القيروان، فعزله وكتب لهم كتاباً قال فيه: "وإني عزلت عنكم الجافي الخلق المبتدع المتعسف، ووليت القضاء حماس بن مروان لرأفته ورحمته وطهارته وعلمه بالكتاب والسنة[٤]".

وممن امتحن على أيديهم أيضاً: إبراهيم بن محمد الضبي، فقد كان من أسباب قتله ـ إضافة إلى عداوته للعبيديين ـ تأليفه كتاباً يناقض فيه كتاباً للكلاعي في القول بخلق القرآن، فكان ذلك من الأسباب المباشرة التي قضت عليه، حيث تولى الكلاعي وابن ظفر سفك دمه.

---

(١) معالم الإيمان (١/ ٢٢).

(٢) المدارك (المجلد الثاني (٥-٩).

(٣) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد الميمي، ويعرف بالقصري، كان رجلاً صالحاً ثقةً توفي سنة ٣٢٢هـ. وله من التأليف كتاب «تجديد الإيمان وشرائع الإسلام».
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ١٧٠)، رياض النفوس (٢/ ١٩٧-١٩٩) رقم: ٢٠٩، معالم الإيمان (٣/ ١١-١٣) رقم: ١٨٥.

(٤) طبقات الخشني (ص ١٧٠).

وممن امتحن أهل السنة أيضاً: سليمان بن عمران العراقي الذي كان تلميذاً لسحنون، ولكن بعد وفاة شيخه تولى القضاء بمسعى من محمد بن سحنون ثم تمعزل (أي: دخل في الاعتزال) وصار يطلب محمد بن سحنون وأتباعه، وضرب منهم فرات بن محمد[١] ضرباً شديداً.

وممن امتحن على أيديهم ـ ولكن نجاه الله منهم ـ: مروان بن أبي شحمة[٢] الذي اتهموه بالتشبيه، فوجه في طلبه أحمد بن الأغلب، «فلما قدم عليه سأله: أخبرني عن معبودك ذكر هو أم أنثى؟، فقال له مروان: هذه مسألة زنديق، وهذه صفة معبودي، ثم قرأ عليه ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى ختمها، فخلى عنه»[٣].

(٢) أساليب المقاومة:

لقد ذكرت في عدة مواضع من بحثنا هذا أن علماء المغرب السنيين كانوا يقاومون كل من ينحرف عن منهج أهل السنة، ويقفون في وجه كل محاولة عقلية لا تتقيد بمنهج أهل السنة، ولما كان علم الكلام منهجاً محدثاً في دراسة العقائد لم يعرفه السلف الصالح رضي الله عنهم ولا نبهوا عليه ولا دعوا إليه، بل أثر عنهم أنهم أنكروا على من يشتغل به، فإن ذلك كان مبرراً لهم أن ينكروا على المتكلمين، بل بلغ بهم التشدد في هذا الأمر والتنفير منه أن يرموا المشتغلين بعلم الكلام بالكفر والزندقة كما ذكر أبو الحجاج يوسف بن محمد بن طملوس حيث يقول: «اتصل بهم علم أصول الدين، فاعتقدوا فيه أنه كفر وزندقة»[٤].

---

(١) هو: أبو سهيل فرات بن محمد العبدي، أخذ عن سحنون وعون بن يوسف الخزاعي وغيرهما، كان من أطول الناس صلاة وأكثرهم ملازمة للمساجد. وكان ذا تهجد وصيام.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (ص ١٤١)، معالم الإيمان (٢/ ٢٤٩-٢٥٠) رقم: ١٤٦.

(٢) هو: أبو الوليد مروان بن الوليد بن شحمة المسيلي، كان ثقة مستجاباً فاضلاً، سمع من وكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي، وكان سحنون يعرف فضله، وكان عابداً زاهداً وكان يبكي حتى يغشى عليه. توفي سنة ٢٤٢هـ وهو ابن أربع وتسعين سنة.
مصادر ترجمته: طبقات ابن العرب (ص ١١٥-١١٦)، رياض النفوس (١/ ٣٩٢-٣٩٣) رقم: ١٣١، معالم الإيمان (٢/ ١٠٥-١٠٦) رقم: ١٠٤.

(٣) كتاب المحن لأبي العرب (ص ٤٥٩) طبعة: دار الغرب الإسلامي (ط ١: ١٤٠٣/ ١٩٨٣) تحقيق: الدكتور يحيى وهيب الجبوري.

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي .

من هنا جاءت مقاومة علماء المغرب للاعتزال، ولم تكن هذه المقاومة على نمط واحد، بل اتخذت أنماطاً مختلفة وأشكالاً متعددة، حيث إستعمل العلماء كل وسيلة يمكنهم بها أن يصلوا إلى غرضهم من القضاء على الاعتزال والمعتزلة وعلى كل بدعة، فاستعملوا الهجر والضرب وكل ما من شأنه أن يقضي على البدعة والمبتدعة كما يقول الإمام اللالكائي: «وقد خبأ المبتدعون أنفسهم في سراديب كالأموات في قبورهم خوفاً من القتل والصلب والنكال والسلب من طلب الأئمة لهم لإقامة حدود الله فيهم»[١].

ولكن قبل تناول هذه الأساليب أذكر تمهيداً في حكم المبتدع، أتناول حكم المبتدع وهل يكفر ببدعته أم لا؟

اختلف العلماء في حكم المبتدع الذي أداه اجتهاده إلى بدعة خالف بها أهل السنة والجماعة، كالخوارج والمعتزلة والقدرية والجهمية إلى قولين، يقول الإمام أحمد ابن تيمية: «فقد حكي عن مالك فيها روايتان، وعن الشافعي فيها قولان، وعن الإمام أحمد أيضاً فيها روايتان، وكذلك أهل الكلام، فقد ذكروا للأشعري فيها قولين، وغالب مذاهب الأئمة فيها تفصيل»[٢].

والمقصود هنا بالمبتدعة ليس أولئك الغلاة من الرافضة القائلين بإلهية علي وغيرهم من الباطنية والحلولية، فإن أولئك كفرهم ثابت، وإنما المقصود من ذكرنا من الفرق.

وسوف لا أتطرق لذكر جميع المذاهب في المبتدعة، وإنما الذي يهمنا هو ذكر أقوال المحققين من أهل السنة، كالإمام ابن تيمية والإمام الشاطبي وغيرهما من الذين توصلوا بعد طول معاناة وطول دراسة وتحقيق في المذاهب المختلفة، إلى الخلاصة التي يؤكدون فيها عدم كفر المبتدعة، وأن ما ورد من إطلاق الكفر من بعض الأمة عليهم، إنما المقصود به أن القول قد يكون كفراً لكن صاحبه ليس بكافر.

يقول الإمام ابن تيمية: «وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه فيقال: من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها»[٣].

ويقول القاضي عياض: «والصواب ترك إكفارهم والإعراض عن الختم عليهم

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧).
(٢) المسائل الماردينية (ص٦٠).
(٣) المسائل الماردينية (ص٦٠).

بالخسران، وإجراء حكم الإسلام عليهم في قصاصهم ووراثتهم ومناكحاتهم ودياتهم، والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملتهم»[١].

ويقول الإمام الشاطبي: «وقد اختلفت الأمة في تكفير هؤلاء الفرق أصحاب البدع العظمى، ولكن الذي يقوى في النظر بحسب الأثر: عدم القطع بتكفيرهم»[٢]، ويقول ابن حجر المكي: «والصواب عند الأكثرين من علماء السلف والخلف: أنا لا نكفر أهل البدع والأهواء إلا إن أتوا بمكفر صريح لا استلزامي، لأن الأصح أن لازم المذهب ليس بمذهب»[٣].

وهؤلاء الذين نقلنا أقوالهم يستندون في أحكامهم هذه إلى أدلة من سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد "نشأ على زمانهم من قال بهذه الأقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال"[٤]. فما نقل عنهم أنهم كفروهم، والأدلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

١- أن علياً وغيره من الصحابة لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم، بل أول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحروراء[٥]، وخرجوا عن الطاعة والجماعة، قال لهم علي بن أبي طالب: «إن علينا أن لا نمنعكم من مساجدنا ولا نمنعكم من الفيء إذا كانت أيديكم معنا. ثم أرسل ابن عباس فناظرهم»[٦].

ومع هذا كما يقول الإمام ابن تيمية: «لم يسب لهم ذرية ولا غنم لهم مالاً ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وأمثاله، ولم ينكر أحد عليه ذلك، فعلم اتفاق الصحابة على أنهم لم يكونوا مرتدين عن الإسلام»[٧].

---

(١) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى (٢/ ١٠٨٥).

(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٥).

(٣) المرقاة شرح المشكاة لعلي القاري (١/ ١٤٧).

(٤) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦).

(٥) حروراء: بفتحتين وسكون الواو وراء أخرى وألف ممدودة: هي موضع ميلين من الكوفة، نزل به الخوارج الذين خالفوا علياً وخرجوا عنه ﷺ فنسبوا إليها، فقيل: الحرورية.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٤٥)، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (ص ١٩٠-١٩١).

(٦) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٣٢) وانظر: مناظرة ابن عباس لهم في تاريخ الطبري (٥/ ٦٤-٦٦) وانظر أيضاً: تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٩٠-٢٩٢).

(٧) منهاج السنة (٤/ ٥٣٣).

ويقول الإمام الشاطبي: «والدليل على عدم تكفيرهم عمل السلف الصالح فيهم، ألا ترى إلى صنع علي رضي الله عنه في الخوارج وكونه عاملهم في قتالهم معاملة أهل الإسلام على مقتضى قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩]، فإنه لما امتنعت الحرورية وفارقت الجماعة لم يهاجمهم علي ولا قاتلهم، ولو كانوا بخروجهم مرتدين لم يتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[١]، ولأن أبا بكر خرج لقتال أهل الردة ولم يتركهم، فدل ذلك على اختلاف في المسألتين»[٢].

٢- أن علياً رضي الله عنه لما سئل عن أهل النهروان[٣]، فقيل له: «أمشركون هم؟، قال: من الشرك فروا، فقيل: أفمنافقون هم؟، قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟، قال: قوم بغوا علينا فقاتلناهم»[٤].

رغم أن هؤلاء كما يقول الإمام ابن تيمية: «استفاضت الأحاديث الصحيحة[٥] عن النبي ﷺ في ذمهم والأمر بقتالهم، وهم يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما، فمن لم

(١) أخرجه البخاري في استتابة المرتدين (باب حكم المرتد والمرتدة واستتابهم) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما رقم الحديث: ٦٩٢٢ فتح الباري (١٢/ ٢٦٧)، وأخرجه الترمذي في الحدود (باب ما جاء في المرتد) رقم: ١٤٥٨ انظر: سنن الترمذي (٤/ ٤٨)، وأخرجه أبو داود في الحدود (باب الحكم فيمن ارتد) رقم: ٤٣٥١ انظر : سنن أبي داود (٤/ ١٢٦)، وأخرجه النسائي في تحريم الدم (باب الحكم في المرتد) (٧/ ١٠٤، ١٠٥)، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٢).

(٢) الاعتصام (٢/ ١٨٥).

(٣) النهروان: بفتح النون وسكون الهاء وأكثر ما جرى على الألسنة بكسر النون وهي كورة (أي: بقعة) واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي، وبها عدة بلاد منها إسكاف وجرجرايا، وكانت بها وقعة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع الخوارج مشهورة. انظر عنها معجم البلدان (٥/ ٣٢٤-٣٢٧)، الروض المعطار في خبر الأقطار (ص ٥٨٢-٥٨٣).

(٤) انظر: تاريخ ابن كثير (٧/ ٢٩١).

(٥) من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**يخرج قوم من أمتي يقرؤون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...**» الحديث. أخرجه مسلم في الزكاة (باب التحريض على قتل الخوارج) رقم الحديث: ١٠٦٦، وأبو داود في السنة (باب في قتال الخوارج) رقم الحديث: ٤٧٦٨، ٤٧٦٩، ٤٧٧٠، سنن أبي داود (٤/ ٢٤٤-٢٤٥).

يكن معهم، كان عندهم كافراً ودارهم دار كفر، فإنما دار الإسلام عندهم في دارهم، ومع هذا فقد صرح علي رضي الله عنه بأنهم مؤمنون ليسوا كفاراً ولا منافقين»[١].

٣- الدليل الثالث على أن الصحابة لم يكونوا يكفرون الخوارج وغيرهم من المبتدعة: أنهم كانوا يصلون خلفهم؛ فكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري[٢]، كما كانوا يحدثونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم، «كما كان عبد الله بن عباس يجيب نجدة الحروري لما أرسل إليه يسأله عن مسائل، وكما أجاب نافع بن الأزرق[٣] عن مسائل مشهورة، وكان نافع يناظره في أشياء بالقرآن كما يتناظر المسلمون»[٤].

ويقول ابن حزم : «وما امتنع قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا من خيار التابعين من الصلاة خلف كل إمام صلى بهم حتى خلف نجدة الحروري وغيره، وقيل لابن عمر في ذلك فقال: "إذا قالوا: حي على الصلاة أجبناهم، وإذا قالوا: حي على سفك الدماء تركناهم»[٥].

(١) منهاج السنة (٤/ ٥٣٢).

(٢) هو: نجدة بن عامر الحروري من بني حنيفة من اليمامة. ولد سنة ٣٦هـ وقتل سنة ٦٩هـ قال الذهبي في الميزان (٤/ ٢٤٥): "من رؤوس الخوارج، زائغ عن الحق" وزاد ابن حجر في لسان الميزان (٦/ ١٤٦): "خرج باليمامة عقب موت يزيد بن معاوية سنة ٦٦هـ وقدم إلى مكة، وله مقالات معروفة وأتباع انقرضوا". وانظر عن ترجمته أيضاً: الأعلام للزركلي (٨/ ٣٢٤)، الفرق بين الفرق (ص ٨٧-٩٠)

(٣) هو: أبو راشد نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري، رأس الأزارقة وإليه نسبتهم، كان أمير قومه وفقيههم، كان من أنصار الثورة على الخليفة عثمان، ووالى علياً إلى أن كانت قضية التحكيم بين علي ومعاوية.
فاجتمع وأصحابه في حروراء ونادوا بالخروج على علي، ومن يومها عرفوا بالخوارج لخروجهم على علي، والتحق بابن الزبير في قتال جيش الشام، ثم انفض عنه وجماعته لما علموا أنه لا يتبرأ من عثمان، قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥هـ على يد جيش المهلب بن أبي صفرة.
مصادر ترجمته: لسان الميزان لابن حجر (٦/ ١٤٤)، الكامل للمبرد (٢/ ١٧٢-١٨١)، الأعلام الزركلي (٧/ ٣٥١-٣٥٢).

(٤) منهاج السنة (٥/ ٢٤٧).

(٥) انظر رسائل ابن حزم (٣/ ٢٠٧-٢٠٨).

٤- أنه لم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم أزاحوا لهؤلاء المبتدعة قبراً ولا قطعوا لهم ميراثاً، ولم يزالوا يُعاملون معاملة المسلمين في نكاحهم وإنكاحهم والصلاة على موتاهم ودفنهم في مقابرهم[1].

هذه الأدلة التي سردتها لعلها تكون كافية في التدليل على ما ذهب إليه العلماء في أحكامهم.

ولكن ذلك لم يمنعهم من اتخاذ الوسائل الناجعة لتأديبهم وزجرهم والتغليظ عليهم بوجيع الأدب وشديد الزجر حتى يرجعوا عن بدعتهم، يقول القاضي عياض: «ولكنهم هجروهم وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر أحوالهم، لأنهم فُساق ضلال عصاة، أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم»[2]، ويقول الإمام الشاطبي: «وأيضاً فحين ظهر معبد الجهني وغيره من أهل القدر لم يكن من السلف الصالح إلا الطرد والإبعاد والعداوة والهجران»[3].

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله في الغرض من ترك علماء السلف الصلاة خلف المبتدعة وعدم قبول شهاداتهم وغير ذلك: «وإنما منع الأئمة كأحمد بن حنبل وأمثاله قبول رواية الداعي إلى بدعة المتعلق بها وقبول شهادته والصلاة خلفه هجراً له وزجراً، ليكف ضرر بدعته عن المسلمين؛ لأن في قبول شهادته وروايته والصلاة خلفه واستقضائه وتنفيذ أحكامه رضًى ببدعته وإقراراً له عليها وتعريضاً لقبولها منه»[4].

ويقول الإمام الشاطبي في هذا المعنى أيضاً: «وفيه علمنا أن الشرع يأمر بزجره وإهانته وإذلاله بما هو أشد من الزجر والهجر كالضرب والقتل، فصار توقيره صدوداً عن العمل بشرع الإسلام وإقبالاً على ما يضاده وينافيه، والإسلام لا ينهدم إلا بترك العمل بما فيه، أيضاً فإن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام: **إحداهما**: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خير مما عليه غيره، فيؤدي ذلك إلى اتباعه دون اتباع أهل السنة على سنتهم، **والثانية**: أنه إذا وُقر من أجل بدعته صار ذلك كالحادي المحرض له على

(١) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦)، المرقاة في شرح المشكاة (١/ ١٤٧-١٤٨).
(٢) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١٠٨٦).
(٣) الاعتصام (٢/ ١٨٦).
(٤) المعيار المغرب (٢/ ٤٥٢).

إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كل حال، فتحيا البدع وتموت السنن، وهو هدم الإسلام بعينه»[(١)].

لهذه الأسباب ولغيرها سلك علماء السنة مختلف الطرق، واتخذوا كل الوسائل الممكنة مع المبتدعة حتى يردوهم عن بدعهم، وفيما يلي من البحث سأتطرق لذكر مختلف الطرق والوسائل والأساليب التي استعملها علماء السلف في مقاومة بدعة الاعتزال والله الموفق.

١- الوسيلة الأولى أو الأسلوب الأول: اعتزال أهل البدع وعدم السلام عليهم:

لقد كان الامتناع عن السلام على أهل البدع عامة والمعتزلة خاصة، واعتزال مجالسهم، بل والإنكار على من يفعل ذلك معهم من أشد الأساليب التي اتخذها علماء المغرب وجربوها في مقاومة الاعتزال بالمغرب وأنكاها، وهو أسلوب ندب إليه القرآن الكريم والسنة النبوية لقمع المبتدعة وطبقة سلف الأمة معهم. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ﴾[الأنعام: ٨٦]، يقول الإمام الشوكاني رحمه الله: «في هذه الآية موعظة عظيمة لمن يتسمح بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام الله ويتلاعبون بكتابه وسنة نبيه فإنه إذا لم ينكر عليهم ويغير لهم فيه فأقل الأحوال أن يترك مجالستهم»[(٢)]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ، وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١٣٣].

يقول القرطبي: «الصحيح في معنى هذه الآية أنها دالة على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع، فإن صحبتهم كفر أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن مودة»[(٣)].

وكقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ﴾ [المجادلة: ٢٢]. وقد تقدم الحديث فيها عند حديثنا عن الإمام مالك وآرائه في مسائل العقيدة فليراجع.

وغير ذلك من الآيات في هذا المعنى كثير، وأما من السنة فإن كتب الحديث مليئة بما ورد عن النبي ﷺ في النهي عن مجالسة أهل البدع، والأمر باعتزالهم وهجرهم،

---

(١) الاعتصام (١/ ١١٤).

(٢) فتح القدير (٢/ ١٢٢) .

(٣) تفسير القرطبي (٣/ ١٠٨).

وقد عقد أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد أبواباً بهذا الخصوص[١].

فمن الأحاديث في هذا الباب، نذكر الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما[٢] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]. فقال عليه الصلاة والسلام: «**إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم**»[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل أمة مجوس، ومجوس أمتي الذين يقولون لا قدر؛ إذا مرضوا فلا تعودوهم، وإذا ماتوا فلا تشهدوهم**»[٤].

وقد اتخذ العلماء من هذه النصوص مبدأً في هجر المبتدع، حيث يقول الإمام ابن عبد البر: "ولا بأس بهجر أهل البدع ومقاطعتهم وترك السلام عليهم"[٥]. بل يرى في

---

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٠/ ٤٩١، ٤٩٨) (١١/ ٤٠)، سنن أبي داود في باب (مجانبة أهل الأهواء وبغضهم) و(باب ترك السلام على أهل الأهواء) سنن أبي داود (٥/ ٦،٨) رقم الأحاديث: ٤٥٩٩-٣٦٠٢.
ورياض الصالحين في (باب تحريم الهجر بين المسلمين إلا لبدعة في المهجور) (ص ٦٠٩-٦١١).
وفي شرح السنن للبغوي في (باب مجانبة أهل الأهواء) (١/ ٢١٩-٢٣٠)، وفي الترغيب والترهيب للمنذري في (باب الترهيب من حب الأشرار وأهل البدع، لأن المرء مع من أحب).

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (باب منه آيات محكمات) رقم: ٤٥٤٧، انظر فتح الباري (٨/ ٢٠٩)، ومسلم في كتاب العلم (باب النهي عن اتباع متشابه القرآن) رقم: ٢٦٦٥، انظر صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٣)، وأبو داود في السنة (باب مجانبة أهل الأهواء) رقم: ٤٥٩٨، سنن أبي داود (٤/ ١٩٨)، وأخرجه الترمذي في التفسير (باب ومن سورة آل عمران) رقم: ٢٩٩٤ سنن الترمذي (٥/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة (باب النهي عن الضعفاء والاحتياط في تحملها) رقم: ٦، صحيح مسلم (١/ ١٢).

(٤) مسند أحمد (١/ ٣٠)، وأخرجه أبو داود في السنة (باب في القدر) رقم: ٤٦٩١، ٤٦٩٢، سنن أبي داود (٤/ ٢٢٢)، السنة لأبي عاصم (٣٣٠، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢).

(٥) الكافي (٢/ ١١٣٨).

أمر الرسول ﷺ بهجر الثلاثة الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة تبوك أصلاً في هذا الباب حيث يقول: "وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع، وهجرته وقطع الكلام معه"[١].

وقد ذكرت في التمهيد السابق (ص ١٩٥) مبحثاً عن حكم المبتدع وأقوال العلماء في ذلك، مما سوغ لعلماء المغرب أن ينطلقوا في أحكامهم ومقاومتهم للمبتدعين بأدلة قوية وبراهين واضحة ووسائل ناجحة، وأهم هذه الوسائل كانت المقاطعة.

ومن هنا جاءت مقاومة علماء المغرب السنيين لرجال الاعتزال وغيرهم من المبتدعين بهذه الوسائل، ولعل أول رجل تذكره المصادر فعل ذلك معهم هو: الإمام البهلول بن راشد، فقد كان لا يسلم عليهم، ثم تبعه تلاميذه في الاقتداء به في ذلك. يقول الإمام سحنون بن سعيد: "إنما اقتديت في ترك السلام على أهل البدع والصلاة خلفهم، بمعلمي بهلول"[٢].

وكان الإمام بهلول بن راشد أيضاً يرفض مصافحة من عرف بآرائه الاعتزالية ما لم يرجع عنها؛ ولا يرد على واحد منهم تحية إلا من بعد أن يستتيبه فيتوب، وتكفي الإشارة في ذلك إلى موقفه من أبي محرز المعتزلي[٣]، عندما جاءه محيياً فأبى أن يرد عليه التحية أو يصافحه، وقال له: لعلي لا أصافحك حتى ترجع عن رأيك"[٤].

وكذلك كان يفعل علي بن زياد معهم، فقد نقلت عنه مصادر ترجمته أنه لما زار القيروان اجتمع إليه العلماء ليرحبوا به، وكان بينهم أبو محرز المعتزلي الذي تقدم ذكره، فلما سلم عليه أعرض عنه ولم يرد عليه السلام[٥].

وقد امتد هذا السلوك مع المبتدعة إلى تلاميذهم وأتباعهم من بعدهم، فكانوا يقتدون بهم في ترك السلام على من عرف بالبدعة، وترك مجالسته كما كان يفعل أحمد بن محمد القطان (ت ٢٨٩هـ) الذي لم يكن يسلم على أحد منهم.

---

(١) التمهيد (٤/ ٨٤)، وانظر أيضاً (٦/ ١١٨).

(٢) انظر رياض النفوس (١/ ٢٠٣).

(٣) ترجمته عند الخشني (ص ٨٤-٨٥).

(٤) طبقات أبي العرب (ص ١٦٧).

(٥) رياض النفوس (١/ ٢٣٦).

بل حتى مع أصحابهم وأتباعهم كانت لهم مواقف متشددة إذا علموا أنهم سلموا على أهل البدع أو حضروا مجالسهم، كما فعل البهلول بن راشد مع محمد بن الحداد، عندما مر ابن الحداد على هشام بن العراقي المعتزلي[١] وكان يعلم في سقيفته، فتوقف يستمع إليه، فلما بلغ ذلك البهلول بن راشد غضب عليه وأغلظ له في القول[٢].

ويذكر الخشني في طبقاته[٣] عن عبد الله بن عبيد الله المهدي[٤]، وكان رجلاً ثقةً مبايناً لأهل الأهواء، لا يسلم على أحد منهم "أنه جاء إلى سحنون بن سعيد فقال: السلام عليك يا أبا سعيد، فقال له: وعليك السلام يا أبا محمد، وعند سحنون رجل يرمى بهوى، فقال له: ههنا يا أبا محمد اجلس، فقال له: أنا أجلس عندك وهذا عندك، ثم تولى منصرفاً".

وكان منهم من يأتي رجال الاعتزال إلى مجالسهم، ويهينهم أمام تلاميذهم ويحرضهم عليهم، ويحثهم على مقاطعتهم واعتزالهم، كما كان يفعل علي بن زياد مع أبي محرز المعتزلي، فقد جاء يوماً إلى حلقة درسه وقال لتلاميذه: "شاهت الوجوه أفمن هذا تسمعون؟[٥].

وامتد هذا السلوك وهذا الأسلوب مع المبتدعة إلى الصلاة، حيث امتنعوا عن الصلاة على من عرف أنه يدين بالاعتزال، وكأن علماء المغرب كانوا مجمعين على ذلك الأمر، الذي جعل القاضي عياض يقول: "اتفق علماء السنة المغاربة على أنه لا تجوز الصلاة على من يدين بالاعتزال"[٦].

ولكن الذي عليه كثير من العلماء كابن عبد البر وغيره أن البدعة لا توصل إلى الكفر الصريح، فإن صاحبها إذا مات يصلى عليه كما يصلى على سائر المسلمين العصاة.

---

(١) له ترجمة مقتضبة جداً في طبقات الخشني (ص ١٩٠).
(٢) طبقات أبي العرب (ص ١٢٩).
(٣) (ص ١٢٣-١٢٤).
(٤) هو: أبو محمد عبد الله بن عبيد الله المهدي، كان ثقةً وكان له سن كسن سحنون أو أكبر.
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١٢٣-١٢٤).
(٥) رياض النفوس (١/ ١٥٩-١٦٠).
(٦) الشفا في التعريف بحقوق المصطفى.

ويحاول توجيه كلام مالك في نهيه عن الصلاة على أهل البدع، أن المقصود منه أئمة الدين وأهل العلم، لأن ذلك زجر لهم حيث يقول : "وأما قوله (أي: مالك) لا يصلى عليهم، فإنه يريد أنه لا يصلى عليهم أئمة الدين وأهل العلم، لأن ذلك زجر لهم وخزي لهم لابتداعهم رجاء أن ينتهوا عن مذهبهم، وكذلك ترك ابتداء السلام عليهم، وأما أن تترك الصلاة عليهم جملة فلا، بل السنة المجمع عليها أن يصلى على كل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، مبتدعاً كان أو مرتكباً للكبائر، ولا أعلم أحداً من فقهاء الأمصار وأئمة التقوى يقول في ذلك بقول مالك"[1] وهذا الذي قاله الإمام ابن عبد البر هو قول العلماء ومذهبهم في أهل البدع، وقد تقدم الحديث عن ذلك في مبحث حكم تكفير المبتدع، ولذلك يقول شارح الطحاوية: "فمن كان مؤمناً بالله ورسوله لم ينه عن الصلاة عليه، ولو كان له من الذنوب الاعتقادية البدعية أو العملية الفجورية ماله"[2].

فلعل علماء المغرب عمموا منع مالك على جميع الناس علمائهم عوامهم، أو لعلهم كانوا يعتقدون كفر المعتزلة والله أعلم.

المهم أن علماء المغرب كانوا يمتنعون عن الصلاة على من يدين بالاعتزال، والأدلة على ذلك كثيرة، من ذلك ما جاء في ترجمة عبد الله بن فروخ الفاسي (ت ١٧٦هـ) أنه قدموا إليه يوماً جنازة رجل اسمه الرفاء[3]، وكان رجلاً فاضلاً، فيصلي عليها هو وابن غانم[4] والبهلول بن راشد، وتقدم إليهم جنازة ابن صخر المعتزلي، فلا يصلي عليها أحد منهم، وقالوا جميعاً: "كل حي ميت" وانطلقوا دون أن يصلوا عليه[5].

وهذا عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) بينما هو جالس، إذ جاءه ثلاثة رجال فأخبروه أن رجلاً مات عندهم يقول بخلق القرآن، ودعوه للصلاة عليه فأبى عليهم وقال: "إن وجدتم من يكفيكم مؤونته فلا تقربوه، فقالوا: لا نجد، فقال: اذهبوا فواروه من

(١) عقيدة ابن عبد البر (ص ١٣١). نقلاً عن كتاب الاستذكار (٦/ ١٣٠).

(٢) شرح الطحاوية (ص ٤٢٥).

(٣) لم أعثر له على ترجمة، ولكن جاء في رياض النفوس (١/ ١٨٦) ما يلي: قال سحنون: "مات رجل يقال له الرفاء وكان من أصحاب البهلول وكان فاضلاً" انتهى.

(٤) هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني صاحب مالك وقاضي إفريقية، دخل الشام والعراق في طلب العلم واشتهر بالفضل والورع. توفي سنة ١٩٠هـ وكانت ولادته سنة ١٢٨هـ .
مصادر ترجمته: طبقات أبي العرب (١١٦-١١٧).

(٥) طبقات أبي العرب (ص ١٠٧-١٠٨).

أجل التوحيد"[١]. قال ناقل الخبر: "يريد: تغسلونه وتكفنونه وتصلون عليه وتدفنونه"[٢]. وهو التفسير الذي فسر ابن عبد البر به منع مالك الصلاة على المبتدعة، والمقصود منع الأئمة من ذلك وليس العامة.

ولقد كانت أعظم تهمة توجه للرجل القول بخلق القرآن، حيث إن صاحب هذه التهمة يصبح لا قيمة له ولا حرمة، منبوذاً من قبل الجميع، لا يلتفت إليه أحد ولا يؤخذ عنه العلم، وإذا مات لا يصلى عليه ولا يمشى في جنازته، جاء في ترجمة البهلول بن عمر بن صالح بن عبيدة التجيبي[٣] أنه كان يقول بخلق القرآن، وكان الناس يتحاشون ذكر اسمه من أجل ذلك، ولما توفي وحملت جنازته قل من كان معها من الناس ورمي نعشه بالحجارة، وقال الناس: "الوادي الوادي، أي: ألقوه في الوادي"[٤].

ولما كانت هذه التهمة تبلغ بصاحبها هذا المبلغ، فقد أصبح الناس يبذلون كل وسعهم من أجل تبرئة ساحتهم منها، حتى بلغ ببعضهم أن يوصي بالكتابة على قبره: "هذا قبر فلان ابن فلان كان يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق". حتى يسلم من تهمة القول بخلق القرآن، ويعبر عن رفضه له حياً وميتاً[٥].

وكما أنهم لم يكونوا يصلون عليهم، فقد امتنعوا أيضاً عن الصلاة خلفهم، كما كان يفعل الإمام سحنون وغيره الذي تعرض للمحنة بسبب تركه الصلاة على جنازة خلف ابن أبي الجواد، لأنه كان يقول بخلق القرآن، ويقول القاضي عياض في ترجمة حمديس القطان: "وكان (أي حمديس) لا يصلي خلف أهل البدع ومن يخالفه، وفعل ذلك هو وابن سحنون ويحيى بن عمر حين ولي الصلاة ابن أبي الجواجب، وفعل ذلك سحنون بغيره"[٦].

وكان منهم من يهرب ويختفي عن أعين الناس بسبب سماعه شيئاً من الاعتزال كما

---

(١) طبقات أبي العرب (ص ١٨٨)، ترتيب المدارك (٢/ ٦٢٧)، رياض النفوس (١/ ٣٨٦)، معالم الإيمان (٢/ ١٤٦).

(٢) رياض النفوس (١/ ٣٨٦).

(٣) ترجمته عند أبي العرب في الطبقات (١٧٥).

(٤) طبقات الخشني (ص ٩١).

(٥) انظر: الصراع العقائدي في الفلسفة الإسلامية (مجموعة مقالات) نشر وزارة الشؤون الثقافية (تونس) (ص ٣٤).

(٦) طبقات الخشني (ص ١٠٨).

فعل أبو زكريا الهرقلي[١] فقد جاء في ترجمته أن رجلاً سأله عن سبب تغيبه عن صلاة الجماعة، فقال له: "سمعت اليوم من يذكر بعض كلام المعتزلة فخرجت إلى الشعراء أبكي على الإسلام"[٢].

وكان اعتناق الآراء الاعتزالية، سبباً في التشنيع على صاحبها والنكير عليها وجلب المتاعب له، فهذا عبد الأعلى بن وهب، جلبت إليه مطالعته لكتب الاعتزال واتهامه ببعض الآراء الاعتزالية وقوله: إن الأرواح تموت، وجلبت له النكير الشديد والطعن عليه من قبل علماء عصره كيحيى بن يحيى الليثي (ت ٢٤٤هـ) [٣] وابن حبيب، وكذلك هشام بن أحمد بن خالد تركه الناس لاتهامه بالاعتزال وتأليفه كتاباً في القدر والقرآن على مذهبهم رغم علمه الكبير. يقول القاضي عياض: "وظهر له تأليف في القدر والقرآن وغير ذلك من أقاويلهم (أي: المعتزلة) وزهد فيه الناس وترك الحديث عنه جماعة من كبار مشايخ الأندلس"[٤].

وكان خليل بن عبد الملك بن كليب في بدء أمره صديقاً لمحمد بن وضاح، ثم لما تبين لابن وضاح أنه يدين بالاعتزال هجره"[٥].

بل إن علماء المغرب أضافوا شيئاً آخر إلى ما سبق من الأساليب مع من اتهم بشيء من الاعتزال، وهو إخراجه من بلده، وإبعاده عنها وتغريبه حتى لا يؤثر في الناس، وحتى يرتدع ويتوب عن بدعته، كما فعلوا بمحمد بن أحمد بن إبراهيم بن أبي بردة الشافعي البغدادي (ت ٣٧٣هـ) الذي كان اعتزاله سبباً في إخراجه من الأندلس، حيث انتقل إلى تيهرت ومات هناك، يقول الذهبي عنه: "نزل المغرب وأظهر بينهم الاعتزال فنفوه"[٦].

ولم يقتصر هذا الأسلوب على من اتهم بالاعتزال، بل كل من ينحرف عن منهج أهل

---

(١) طبقات أبي العرب (ص ١٥٢-١٥٣)، رياض النفوس (١/ ٣٢٢).

(٢) طبقات أبي العرب (ص ١٥٣).

(٣) فقيه مالكي، بربري الأصل، من قبيلة مصمودة، ارتحل إلى المدينة المنورة وسمع بها الموطأ من مالك ثم عاد إلى الأندلس، حيث قام بنشر مذهب مالك. توفي سنة ٢٣٤هـ.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (٦/ ١٤٣-١٤٦) رقم: ٧٩٢٠، الديباج المذهب (٢/ ٣٥٢-٣٥٣) رقم: ٢.

(٤) انظر معجم البلدان (٥/ ٣٩١) نقلاً عن القاضي عياض.

(٥) تاريخ علماء الأندلس (١/ ١٣٩).

(٦) ميزان الاعتدال (٣/ ٤٦٥).

السنة أو يحاول أن يظهر آراء غريبة عن آرائهم، كانوا يفعلون معه ذلك كما فعلوا بأبي بكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري (ت ٤٠٦هـ)[١]، الذي اشتهر بالكلام والجدل، وكان عند عودته من رحلته المشرقية قد تناول موضوعات غريبة من أهل المغرب، مثل القول بنبوة النساء وبصحة نبوة مريم عليها السلام، وبجواز بقاء الخضر أبد الآبدين، فقام عليه علماء المغرب من المحدثين أمثال ابن عون الله شيخ المحدثين[٢] وأبي عمرو الطلمنكي وغيرهما، فجرت بينه وبينهم فتن بسبب هذه المسائل التي أثارها وأغروا به، حتى سير هو وجماعة من أصحابه إلى العدوة حيث بقي مدة ثم رجع[٣].

الوسيلة الثانية أو الأسلوب الثاني في مقاومة الاعتزال: إعدام مؤلفات من عرف عليه الاعتزال:

هذه الوسيلة أو هذا الأسلوب لم يخص به علماء السنة المغاربة المعتزلة وحدهم، بل كل من ينحرف عن منهج أهل السنة يسلك معه هذا المسلك، حيث يعمدون بعد وفاته أو حتى في حياته إلى مصنفاته فيعملون فيها الحرق. كما فعلوا بكتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي[٤]، وكما فعلوا بمصنفات ابن حزم عندما خالف المذهب المتبع في المغرب؛ المالكي في الفروع، ومذهب السلف في الأصول وأباح دراسة المنطق والفلسفة فما كان من أهل الأندلس إلا أن أحرقوا كتبه وأخرجوه من أرضه[٥]، وكما

---

(١) هو: أبو بكر محمد بن موهب التجيبي الحصار المعروف بالقبري القرطبي، جد أبي الوليد الباجي؛ لأنه أخذ عن علماء بلده، ثم رحل إلى المشرق فأخذ بالقيروان عن ابن أبي زيد القيرواني وأبي عمران الفاسي وغيرهما. واشتهر بالكلام والجدل توفي سنة ٤٠٦هـ. مصادر ترجمته: ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٤)، جذوة المقتبس (ص ٩٢) رقم: ١٤٦.

(٢) هو: أبو جعفر أحمد بن عون الله بن حيدر، قرطبي رحل وسمع بمكة من ابن الأعرابي وغيره وسمع بمصر وطرابلس الشام. وكان شخصاً صالحاً متشدداً على أهل البدع، وكان لهجاً بهذا النوع صبوراً على الأذى، وكان صدوقاً. توفي سنة ٣٧٨ هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ٥٤) رقم: ١٨٣.

(٣) ترتيب المدارك (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٤) يأتي الحديث عن حادثة إحراق كتاب إحياء علوم الدين في فصل مقاومة التصوف.

(٥) بعد إحراق المعتضد بن عباد مصنفات ابن حزم، أرسل إليه ابن حزم هذه الأبيات يتحداه فيها وهي:

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
دعوني من إحراق رق وكاغد ... وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

=

فعلوا بأتباع ابن مسرة حين أحرقوا كتبهم[١].

كذلك كان أسلوبهم مع من عرف عليه الاعتزال، فلما مات خليل بن عبد الملك بن كليب، وكان مشهوراً بالقدر لا يتستر به، أتى أبو مروان بن أبي عيسى[٢] وجماعة من الفقهاء وأخرجوا كتبه وأحرقت بالنار إلا ما كان فيها كتب المسائل[٣].

الوسيلة الثالثة أو الأسلوب الثالث: ضرب من عرف عليه الاعتزال:

هذا الأسلوب لم يكن عاماً في واقع الأمر، ولكن وقعت حوادث منه تدل على أن بعض العلماء كان يرى في الضرب وسيلة ناجعة ومفيدة في مقاومة الاعتزال.

وحين نعود إلى الوراء قليلاً، إلى سيرة السلف الصالح ﷺ نجد أن أول من استعمل الضرب مع المبتدعة عمر بن الخطاب ﷺ، حين جاءه صبيغ بن سحل يسأله عن المتشابه، ويتكلم فيما لا يعنيه مما قد يحدث فتناً بين العامة، فطلبه عمر وقال له: من أنت؟ قال أنا عبد الله صبيغ، وقال عمر: أنا عبد الله عمر، فأخذ يضربه بعراجين النخل حتى دمي رأسه، فقال صبيغ: حسبك يا أمير المؤمنين قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة حتى صلح حاله.

وعمر بن الخطاب إذ يفعل ذلك كان ينبه إلى خطر هؤلاء المبتدعة وإلى أن اللين لا يصلح حالهم ولا جدالهم، وأنهم إن ترك لهم المجال مفتوحاً، فإنهم يكنون وبالاً على الإسلام. وهذا الذي خافه عمر ﷺ هو الذي حدث بالفعل بعد القرون المفضلة.

ومن فعل عمر هذا قعد علماء السنة في زجر أهل البدع، فعقد الآجري في كتاب «الشريعة» باباً في عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء يقول فيه:

"ينبغي لإمام المسلمين ولأمرائه في كل بلد إذا صح عنده مذهب رجل من أهل الأهواء ممن قد أظهره أن يعاقبه العقوبة الشديدة، فمن استحق منهم أن يقتله قتله، ومن استحق أن يضربه ويحبسه وينفيه فعل به ذلك، كما جلد عمر بن الخطاب صبيغاً ونفاه

= وإلا فعودوا في المكاتب بدأة ... فكم دون ما تبغون لله من ستر

انظر في سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٥).

(١) يأتي الحديث عن ذلك بتوسع في فصل مقاومة علماء المغرب للتصوف.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (١/ ١٣٩).

وحرمه عطاءه وأمر الناس بهجرته، وحرق علي بن أبي طالب الزنادقة وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطأة[١] في القدرية أن استتبهم، فإن تابوا وإلا فاضرب أعناقهم. وضرب هشام بن عبد الملك عنق غيلان وصلبه، ولم تزل الأمراء بعدهم في كل زمان يعاقبون أهل الأهواء على حسب ما يرون ولا ينكره العلماء"[٢].

لقد كان الإمام أسد بن الفرات من أشد الناس على المبتدعة عموماً والمعتزلة خصوصاً، ولما جلس يوماً بالمسجد يحدث بحديث رؤية الله في الآخرة، وكان سليمان العراقي جالساً آخر المسجد فتكلم وأنكر، فسمعه أسد بن الفرات، فقام إليه وجمع بين طوقيه ولحيته، واستقبله بنعله، فضربه ضرباً شديداً حتى أدماه"[٣].

وحادثة أخرى شبيهة بها، وهي أن أسداً كان يفسر قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، فقال له أحد فقهاء المعتزلة: إن المقصود: الانتظارُ ففهم أسد غرضه وهو نفي رؤية الله سبحانه وتعالى، فقام إليه مهدداً بضربه، وأمره بالرجوع عن قوله، ولم يتركه حتى رجع[٤].

وقد هم الناس أن يقتلوا سليمان الفراء، لكونه كان جهمياً، وكان يقول بخلق القرآن ويدعو الناس إليه[٥].

وقد قتل بسبب التعطيل رجل يدعى الفزاري، كان من أهل المناظرة والجدل على مذهب المعتزلة مع استهزاء وطيش وكان يحضر مجالس الفقهاء ليناظرهم، وكان يزري عليهم في عقائدهم ويضحك منهم، ونميت عنه أمور منكرة وشهد عليه أكثر من مئتين بالاستهزاء بكتاب الله وبأنبيائه فأحضر له العلماء وفيهم يحيى بن عمر وغيره فأفتوا بقتله، يقول القاضي عياض: أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون بقتل إبراهيم الفزاري[٦].

---

(١) هو: عدي بن أرطأة الفزاري الدمشقي أمير البصرة لعمر بن عبد العزيز، حدث عن عمرو بن عبسة وأبي أمامة، وحدث عنه طائفة مات مقتولاً سنة ١٠٢هـ قتله معاوية بن زيد بن المهلب. مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (٣/٧) رقم:٣، ميزان الاعتدال (٣/ ٦١) رقم: ٥٥٩، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٣) رقم: ١٧، تهذيب التهذيب (٧/ ١٦٤) رقم: ٣٦٨، شذرات الذهب (١/ ١٢٤).

(٢) صون المنطق (ص ١٢٥).

(٣) انظر: طبقات أبي العرب (ص ٨٢)، رياض النفوس (١/ ٢٦٤-٢٦٥)، ترتيب المدارك (٢/ ٣٠١-٣٠٢).

(٤) رياض النفوس (١/ ٢٦٥).

(٥) البيان المغرب (١/ ١١٩).

(٦) الشفا للقاضي عياض (٢/ ٩٤١).

الأسلوب الرابع : أسلوب المناظرة

هذا الأسلوب كان من أوسع أساليب المقاومة وأعمالها، ذلك أن كثيراً من علماء السنة المغاربة اتخذوا وسيلة في مقاومة البدع عموماً، والمعتزلة خصوصاً في مجالس كانت تعقد بينهم لمعرفة المذهب الحق، كما ذكرت ذلك في موضعه من هذا البحث وهو أسلوب قديم، استعمله السلف الصالح ﷺ مع المبتدعة، ولعل أول من استعمله ومارسه معهم هو عثمان بن عفان ﷺ مع الخارجين عليه، الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وسولت لهم أنفسهم التسور على مقام الصحابة الكرام ﷺ الذين انتقل النبي ﷺ إلى ربه وهو عنهم راض وشهد لهم بالجنة فناظرهم عثمان، وأزال شبهاتهم، ولكن الشيطان كان قد أحكم سيطرته عليهم فلم يرض إلا بقتله، فقتلوه ﷺ وذهب إلى ربه شهيداً، وكان من نصيبهم الخزي والعار.

ولما ولي الإمام علي الخلافة من بعده، لجأ هو أيضاً إلى هذا الأسلوب لإقناع جماعات الخوارج الذين خرجوا عليه وحاربوه، فرجع عدد كبير منهم، وبقي كثير منهم على ضلالهم وانحرافهم، واستمر هذا الأسلوب مع عدد من الخلفاء من بعده، كعمر بن عبد العزيز وغيره، ثم أصبح هذا الأسلوب هو الطريقة التي تتبعها الفرق المختلفة في محاولة لنشر ضلالها وانحرافها في الناس.

لقد برز في ميدان المناظرة في المغرب رجال كثيرون، كان لهم شأن بديع في مقاومة الاعتزال ودحض الشبه التي يطرحها رجاله ويحاولون أن يضلوا بها العامة، وكانت هذه المناظرات كلها تدور حول قضايا القرآن وصفات الله تعالى والقدر، وغيرها من القضايا التي تقول بها المعتزلة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المغرب لم يعرف كل الأصول الخمسة التي يقوم عليها مذهب المعتزلة، وهي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإنما عرف أهم القضايا التي تشعبت عن الأصل الأول الذي هو التوحيد، كمسائل خلق القرآن والأسماء والصفات، وكقضية الجبر والاختيار التي تفرعت عن الأصل الثاني الذي هو العدل، وقد حاولوا جاهدين بث هذه القضايا بالمغرب، ولكن أنى لهم ذلك وقد تكفل الله بحماية هذا الدين وإظهاره وكشف الدعاوى الباطلة التي يحاول الأعداء أن يلصقوها به، ولذلك فلا عجب أن نرى المذهب السني ينتشر ويظهر، بينما تزول وتفنى المذاهب الأخرى لأنها غير قادرة على

إقناع الناس بباطلها، وفي ذلك يقول اللالكائي: "ثم إنه من حين حدثت هذه الآراء المختلفة في الإسلام، وظهرت هذه البدع من قديم الأيام لم تر دعوتهم انتشرت في عشرة من منابر الإسلام، متوالية ولا أمكن أن تكون كلمتهم بين المسلمين عالية، أو مقالتهم في الإسلام ظاهرة، بل كانت داحضة وضيعة مهجورة، وكلمة أهل السنة ظاهرة ومذاهبهم كالشمس نائرة، ونصب الحق زاهرة وأعلامها بالنصر مشهورة، وأعداؤها بالقمع مقهورة"[١].

وقد جاءت هذه المناظرات كنتيجة طبيعية لما كان يجري في المشرق من خلافات عقدية، ولم يكن المغرب كما قلت بمنأى عن تلك الخلافات والصراعات الحادة، بل كل ما كان يحدث في المشرق يجد له صدًى في المغرب، نتيجة الاتصال المستمر عبر الرحلات والمؤلفات، أو عبر الهجرات التي كان يقوم بها رؤوس المذاهب هروباً بآرائهم علّهم يجدون موضعاً أضمن لهم ينشرون فيه باطلهم.

ومن خلال هذا البحث وجدت أن أول قضية أثيرت في المغرب من قضايا الاعتزال هي قضية القدر، فهذا أبو قبيل المعافري (ت ١٢٨هـ)[٢] الذي قدم في جيش حسان بن النعمان غازياً سئل عن القدر فأجاب: "لأنا في الإسلام أقدم منه، فدين أنا في الإسلام أقدم منه لا خير فيه"[٣].

لقد كان علي بن زياد من أوائل من قاوم الاعتزال عن طريق المناظرة والجدال، فقد نقل صاحب رياض النفوس أنه بينما جماعة من الناس عند علي بن زياد، إذ دخل أبو محرز المعتزلي عليهم، فسلم ثم جلس، فقال لعلي بن زياد: "يا أبا الحسن قد تعلم ما بيننا وبينك من العشرة والمودة، وقد أرى غير ذلك فلمَ ذلك؟ فقال له علي بن زياد: يا محمود، بلغني عنك أنك تقول: إن إبليس يستطيع السجود، فإذا كان يستطيع السجود فكيف يجوز لك أن تلعنه فلعله قد سجد "فوجم أبو محرز وأخذ في غير الجواب[٤].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٥).

(٢) هو: أبو قبيل حي بن هانئ المعافري المصري، محدث قدم من اليمن، وسكن مصر شارك في فتح إفريقية وتوفي بالبرلس بين دمياط ورشيد سنة ١٢٧ أو ١٢٨ هـ.

مصادر ترجمته: تهذيب التهذيب (٣/ ٧٢) رقم: ١٤٠، ميزان الاعتدال (١/ ٦٢٤) رقم: ٢٣٩٣، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢١٤-٢١٥) رقم: ٨٦، شذرات الذهب (١/ ١٧٥).

(٣) رياض النفوس (١/ ٩١).

(٤) رياض النفوس (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

وفي مناظرة أخرى يقول له علي بن زياد: "يا أبا محرز، ما الذي أراده الله سبحانه وتعالى من عباده ؟ فقال : الطاعة، فقال : وما الذي أراده إبليس منهم ؟ فقال: المعصية، فقال: وأي الإرادتين غلبت ؟ فقال أبو محرز: أقلني أقالك الله، فقال له علي ابن زياد: والله لا أقيلك حتى تتوب عن بدعتك"[١].

ويبين عون بن يوسف الخزاعي (ت ٢٣٩هـ) أن المعتزلة والقدرية لا يثبتون أمام المناظرة الجادة، بل إن قواعدهم سرعان ما تتهاوى أمام النقد القوي والمنطق السوي، ويعطينا الدليل على ذلك فيقول: "إذا أردت أن تكفر القدري فقل له: ما أراد الله عز وجل من خلقه فإن قال: أراد منهم الطاعة فقد كفر لأن منهم من عصى، وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله، وإن قال: أراد منهم المعصية فقد كفر، لأن منهم من أطاع، وكل إله لا تتم إرادته فليس بإله"[٢].

وكان للإمام بقي بن مخلد ـ على علمه بالحديث ـ اهتمامات بمسائل العقيدة، وله مواقف مشهودة مع المخالفين، وكان شديداً عليهم، ذكر صاحب تاريخ الأندلس[٣] عنه أنه ناظر خليل بن عبد الملك بن كليب الذي كان يقول بالقدر ولا يتستر منه، ناظره مرة في بعض قضايا الاعتزال فقال له: أسألك عن أربع، فقال: وما هي ؟ فقال بقي: ما تقول في الميزان ؟ قال: عدل الله، ونفى أن تكون له كفتان.

فقال له: وما تقول في الصراط ؟ فقال: الطريق، يريد: الإسلام، فمن استقام عليه نجا، فقال له: وما تقول في القرآن ؟ فلجلج ولم يقل شيئاً، وكأنه ذهب إلى أنه مخلوق.

فقال له: فما تقول في القدر ؟ قال: أقول: إن الخير من عند الله، والشر من عند الرجل. فقال بقي: والله لولا حالة لأشرت بسفك دمك، ولكن قم فلا أراك في مجلسي بعد اليوم.

ولكن أبرز رجال المناظرة والجدل من علماء المغرب، والذين كانت لهم مقامات مشهودة ومواقف محمودة مع المخالفين من أهل البدع، نافحوا فيها عن الدين وفندوا شبه المخالفين هما: محمد بن سحنون، وسعيد بن الحداد، اللذان اشتهرا بالمناظرة والتأليف في آن واحد، فقد ألف الإمام محمد بن سحنون عدة مصنفات جيدة في الرد

---

(١) رياض النفوس (١/ ٢٣٤).

(٢) رياض النفوس (١/ ٣٨٦).

(٣) (١/ ١٣٩).

على القدرية والمعتزلة مثل كتاب «الحجة على القدرية» وكتاب «الرد على أهل البدع». وكان إلى جانب بروزه في مجال التأليف، قوي العارضة في الجدل والمناظرة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك في ترجمته، وله في ذلك صولات وجولات مع كل الفرق، ولا سيما المعتزلة والقدرية.

فلقد جاء في ترجمته أنه حضر مجلس مناظرة، وكان أبو سليمان النحوي[١] وهو شيخ أقبل من المشرق وكان يذهب مذهب المعتزلة، فقيل لابن سحنون: لقد تناظر هذا الشيخ مع جماعة فهل لك في مناظرته؟ فقال ابن سحنون للشيخ: تقول أيها الشيخ أو تسمع؟ فقال الشيخ: قل يا بني، فسأله ابن سحنون: أرأيت كل مخلوق هل يذل لخالقه؟ فسكت الشيخ ولم يدل بجواب، ثم سأل ابن سحنون عن سنه فأخبره بأنه في الثمانين، فقال ابن سحنون: اختلف العلماء في الصلاة على الميت بعد سنة من موته وإذا دفن ولم يصل عليه، والرأي الغالب أنه لا يصلى عليه، وهذا الشيخ له ثمانون سنة وهو في عداد الأموات.

ثم سئل محمد بن سحنون عن جواب سؤاله فقال: إن قال: كل مخلوق يذل لخالقه فقد كفر، لأنه جعل القرآن ذليلاً على مذهبه الذي يرى القرآن مخلوقاً، والله يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١ ـ ٤٢]، وإن قال: إنه لا يذل فقد رجع إلى مذهب أهل الحق"[٢].

وهذه المناظرة تدلنا على القدرة على الجدل التي كان يتمتع بها علماء المغرب، وعلى معرفتهم بطرق الاستدلال بالقرآن الكريم في الرد على المخالفين.

وحاول سليمان بن الفراء إمام المعتزلة بالقيروان أن يورطه فيقول بحدوث الأسماء والصفات، فسأله: "يا أبا عبد الله، الله سمى نفسه؟ "فأجاب ابن سحنون في غاية السرعة: "الله سمى نفسه ولم يزل وله الأسماء الحسنى"[٣] ووجه إليه إبراهيم بن أحمد مرة فسأله: "ما تقول في يزيد بن معاوية فقال: أصلح الله الأمير لا أقول ما قالت الإباضية، ولا ما قالت المرجئة، قال: وماذا قالت؟ قال: قالت الإباضية: إن من أذنب ذنباً فهو من أهل النار، وقالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد، أتى يزيد عظيماً

---

(١) انظر رياض النفوس (١/ ٤٤٩) التعليق الرقم: ١ .

(٢) رياض النفوس (١/ ٤٤٩-٤٥٠).

(٣) رياض النفوس (١/ ٣٥١).

جسيماً، ويفعل الله في خلقه ما أحب"[١].

وبهذه الأجوبة تخلص الإمام محمد بن سحنون من الوقوع في القول بحدوث القرآن والقول بحدوث الصفات، كما رد في جوابه الأخير على الخوارج والمرجئة وحتى المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين.

وسئل في مناظرة أخرى عن الإيمان أمخلوق هو أم غير مخلوق ؟ فرد بأن **«الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»** فالإقرار غير مخلوق وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة[٢].

ويعتبر الإمام سعيد بن الحداد من أبرز رجال هذه المرحلة في مناظرة المعتزلة عن طريق التأليف والمناظرة في آن واحد، فقد ألف في الرد عليهم كتاب «الاستواء» الذي قال فيه: "وإن كان قصدنا في هذا الكتاب إلى الرد على النافية لله بنفيهم لصفاته".

وألف كتاباً آخر يرد فيه القول بخلق القرآن، حيث انتشرت هذه المقالة الزائفة وألفت في إثباتها، والانتصار لها المصنفات من قِبل رجال الاعتزال، حيث ألف سليمان بن أبي عصفور المعروف بالفراء كتاباً في القول بخلق القرآن[٣]، وألف محمد بن الكلاعي الفقيه كتاباً يؤكد فيه هذا القول، وهذا الكتاب ألف في الرد على كتاب الإمام سعيد بن الحداد، الذي تقدم ذكره.

وتجدر الإشارة إلى أن إبراهيم بن محمد الضبي ألف في مناقضة كتاب الكلاعي هذا وتسفيه ما جاء فيه كتاباً جديداً[٤]، إلى جانب بروزه وتفوقه في مجال التأليف، فقد كان أيضاً إماماً في مجال المناظرة، وكانت له جولات كثيرة في هذا المجال مع رجال الاعتزال، يقول المالكي: "كانت له مجالس كثيرة مع أهل العراق القائلين بخلق القرآن من أهل القيروان"[٥].

ومن خلال مناظرته للمعتزلة كما سيأتي نلاحظ أن الرجل كان ذا ذكاء حاد، وقدرة فائقة على إبطال آراء المخالفين من أهل الأهواء والبدع.

---

(١) تراجم أغلبية (ص ١٨١).
(٢) رياض النفوس (١/ ٣٥٥).
(٣) الخشني قضاة قرطبة (ص ٢٨)
(٤) طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٢٨٦).
(٥) رياض النفوس (١/ ٧٠).

أورد المالكي عدة مناظرات له، نكتفي بواحدة منها تحقق الغرض من إيرادها، فقد جاء أن ابن الحداد دخل على الأمير إبراهيم الثاني (الأمير التاسع من أمراء الدولة الأغلبية) وكان بمجلسه قاضيه عبد الله بن هارون الكوفي[١]، وعبد الله بن الأشج وجماعة آخرون، قال ابن الحداد: فتقدمت فأدناني الأمير منه، ثم قام بعض المعتزلة وقال: أيها الأمير، كثر التشبيه بالقيروان وفشا. وفهم ابن الحداد أنه يريد تحريك الأمير لإثارة مواضيع يصل من ورائها إلى ضرب أهل السنة، ثم جرى الحديث عن كلام الله، فسأل ابن الحداد: ممن سمع موسى الكلامَ ؟ فقال ابن الأشج: من الشجرة، فقال ابن الحداد: من ورقها أم من لحائها ؟ فسكت ابن الأشج ولم يدل بجواب، ولما سئل ابن الحداد عن المقصود من سؤاله، أجاب: كل من زعم أن موسى سمع الكلام من الشجرة على الحقيقة فقد كفر؛ لأنه يعني أن الله تعالى لم يكلم موسى، ولم يفضله بكلامه.

ولكن الأمير أراد أن يستمر في مناظرة ابن الحداد فزعم أنه لا يقول: إن القرآن مخلوق كما يقول المعتزلة، ولا غير مخلوق كما يقول غيرهم؛ لأن الله لم يقل: مخلوق ولا غير مخلوق، ولكن ابن الحداد فند قوله أيضاً، وبين تهافته وعدم جدواه حين ألزم الأمير بقوله: فإن قال غيرك في علم الله مثلما قلت، فقال: إن الله لم يقل مخلوقاً ولا غير مخلوق، وسلك مسلكك في الكلام فأجاب الأمير: لو قال ذلك قسمته بسيفي، قال ابن الحداد: ولم ؟ قال : لأنه لو كان مخلوقاً لكان قبل أن يخلق العلم جاهلاً، لأن ضد العلم الجهل، قال ابن الحداد: قلت: فكذلك لا يقال في الكلام: مخلوق، لأنه لو كان مخلوقاً لكان موصوفاً قبل خلقه بضده، وهو الخرس وما لزم في العلم لزم مثله في الكلام[٢].

ولم تقف هذه المناظرة عند هذا الحد، بل استمرت، ولكن حول قضية أخرى وهي الخبر الواحد هل يفيد اليقين أم لا ؟

ونحن نعلم أن خبر الواحد عند أهل السنة يفيد اليقين ويجب العمل به. يقول ابن عبد البر: "وأجمع أهل العلم من أهل الفقه والأثر في جميع الأمصار فيما علمت على قبول

(١) هو: عبد الوهاب بن هارون السوداني يعرف بابن الكوفي، تولى القضاء بعد ابن عبدون، فكان قاضياً نحو السنتين لإبراهيم الأغلبي ثم عزله. توفي سنة ٢٨٣ هـ.
مصادر ترجمته: طبقات الخشني (ص ٢٣٧-٢٣٨)، وانظر أيضاً: رياض النفوس (٢/ ٧٠) تعليق رقم: ١٧٦ .

(٢) رياض النفوس (٢/ ٧١-٧٢).

خبر الواحد وإيجاب العمل به إذا ثبت ولم ينسخه غيره من أثر أو إجماع، على هذا جميع الفقهاء في كل عصر من لدن الصحابة إلى يومنا هذا إلا الخوارج وطوائف من أهل البدع شرذمة لا يعد خلافاً "[١] ومن هذه الطوائف المعتزلةُ وعموم المتكلمين.

يقول ابن الحداد: «ثم أخذ ابن الأشج في مدح أهل العراق[٢] وتفضيلهم على أهل الحجاز»[٣] فقال: لقد قال أسد: سألت مالكاً فأجابني وسألته عن أخرى فأجابني وسألته مسألة أخرى فأجابني، فقال لي رجل كان واقفاً على رأس مالك: إن أردت التشقيق فعليك بالعراق.

قال ابن الحداد عند ذلك: فقلت له: "أيها الأمير، هذا وأصحابه يزعمون أن أبا بكر ﷺ إذا انفرد بخبر عن رسول الله ﷺ لم تقم به حجة. وأن عمر ﷺ كذلك وأن عثمان وعلياً كذلك، وهاهو يريد أن يقيم الحجة في تفضيل أهل العراق على أهل المدينة بخبر رجل لا يعرف من هو من جميع البرايا".

ثم قال ابن حداد: "فما نطق ابن الأشج ولا أصحابه بكلمة غير: ويحك يا سعيد"[٤].

وهناك مناظرة أخرى له ذكرها الخشني في طبقات علماء إفريقية[٥] تتعلق هذه المرة بصفات الله تعالى، دارت بينه وبين سليمان الفراء، حيث سأل سليمان الفراء ابنَ الحداد يوماً بقوله: يا أبا عثمان! أين كان ربنا إذ لا مكان؟ فأجاب ابن الحداد: السؤال محال، فقولك: أين كان يقتضي المكان، وقولك: إذ لا مكان ينفي المكان، فهذا نعم لا، قال سليمان: كيف كان ربنا إذ لا مكان؟ فأجاب ابن الحداد: هذا السؤال صحيح، ثم قال: الجواب أنه الآن على ما عليه كان ولا مكان[٦].

وممن اشتهر أيضاً بمقاومة الاعتزال عن طريق المناظرة والتأليف في آن واحد:

---

(١) التمهيد (١/ ٢).
(٢) المقصود أهل الرأي.
(٣) المقصود أهل الأثر.
(٤) رياض النفوس (٢/ ٧٣).
(٥) (ص ١٩٩).
(٦) الخشني: طبقات علماء إفريقية (ص ١٩٩).

محمد بن محجوب (ت ٣٠٧هـ) [١] فقد ذكر الخشني عنه أنه ناظر بعض القدرية ذات يوم في مسألة القدر، قال الرقادي الذي روى الخبر: فأخذ ابن محجوب كتفاً بين يديه وجعل يوقع فيها تناقض مقالة القدرية حتى ملأها، ثم قرأها، فما رأيت كلاماً أوعب لعيون المعاني من كلامه[٢].

الأسلوب الخامس: المقاومة عن طريق التأليف:

هذا الأسلوب ـ كما قلت ـ لجأ إليه أهل المغرب مضطرين، إذ لم تكن طريقتهم الكتابة في مسائل العقيدة، حتى لا يفتحوا باباً يصعب بعد ذلك سده، ولكن عندما اضطروا لذلك، ورأوا أهل البدع نشطين في بث سمومهم عن طريق التأليف، ورأوا البدع تظهر على حساب السنن، عند ذلك لم يعد لهم عذر في السكوت على الباطل، بل رأوا أنه أصبح من الواجب عليهم أن يردوا على أهل البدع بأسلوبهم حتى يظهر الحق ويزهق الباطل ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

من هنا جاء التأليف في مسائل العقيدة على اختلافها، ومنها التأليف في الرد على أهل الاعتزال، وبرز في هذا الميدان كثير من علماء المغرب كانوا لسان أهل السنة الذاب عن حياض هذا الدين، وكانوا على دراية واسعة بأساليب المخالفين ومقاصدهم، ومعرفة تامة بمسالك الرد عليهم، وإذا كنت قد ذكرت في الأسلوب السابق العلماء الذين جمعوا بين المناظرة والتأليف في الرد على المعتزلة، فإنني في هذه المرة أقصر القول على الذين برزوا في مجال التأليف في الرد على المعتزلة، فإنني في هذه المرة أقصر القول على الذين برزوا في مجال التأليف وحده، وليس معنى ذلك أن هؤلاء الذين سأذكرهم لم تكن لهم مشاركة في أسلوب المناظرة، وإنما المقصود أن بروزهم كان في مجال التأليف أقوى وأظهر، ولذلك اقتصر على هذا الجانب من جهودهم.

وحين أتحدث عن كتب الرد على المعتزلة يجدر بي أن أشير إلى تلك المؤلفات التي ألفت في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، ففي بيان هذه العقيدة وتقريرها ردٌّ على أهل العقائد المخالفة لعقيدة أهل السنة، ومنهم المعتزلة وإبطال لمعتقداتهم الفاسدة، ولذلك نلاحظ أن من العلماء من كان يشفع كلامه عند تقرير أصل من أصول الدين على منهج أهل السنة، يشفع كلامه على ذلك بقوله: "ففيه رد على المعتزلة أو على القدرية، أو غيرهم".

---

(١) ترجمته في طبقات الخشني (ص ٢١٣).

(٢) طبقات علماء إفريقية للخشني (ص ٢١٣).

لقد كان الإمام ابن أبي زيد القيرواني من أوائل من ألف في الرد على القدرية والمعتزلة، وكان مبرزاً في هذا الجانب، كما كان مبرزاً في مجال الفقه والحديث، حيث ألف في الرد على القدرية كتاباً، وألف رسالة في(مناقضة رسالة البغدادي المعتزلي التي قال عنها ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري»[١]: " من وقف عليها علم أنه كان نهاية في علم أصول الدين" . وكان السبب في تأليفه هذه الرسالة أن رجلاً من أهل الاعتزال يدعى علي بن أحمد بن إسماعيل البغدادي[٢] نزيل مصر الذي انتسب إلى المذهب المالكي ليروج لبدعته لدى العامة، وكتب إلى فقهاء القيروان رسالة يدعوهم فيها إلى مذهب الاعتزال والقول بالقدر وبخلق القرآن، وغير دلك مما تقول به المعتزلة، لأن ذلك كله كان مذهب الإمام مالك رحمه الله فأجابه ابن أبي زيد القيرواني برسالته هذه، التي ظهر فيها علمه وقدرته على الحجاج والرد على أهل الأهواء.

ونفى عن مالك وأصحابه جميع مانسب إليهم المعتزلي، وجعل يحتج على نقض قوله في القدر بكلام مالك البديع في رسالته في القدر[٣].

ولما أنكرت المعتزلة رؤية الله تعالى في الآخرة ألف علماء المغرب في الرد عليهم وإثبات الرؤية عدة مصنفات، مثل «كتاب الرؤية» ليحيى بن عُمر، و«كتاب ما جاء من الحديث في النظر إلى الله تعالى» لابن وضاح[٤].

وهناك كتابان في الرد على القدرية كشف عنهما الدكتور محمد الطالبي[٥] من تأليف عالمين قيروانيين: أحدهما «كتاب السنة» لأحمد بن يزيد القرشي (ت ٢٨٤هـ)[٦]، وثانيهما «كتاب الحجة» ليحيى بن عون الخزاعي (ت ٢٩٨هـ).

---

(١) (ص ١٢٢).
(٢) لم أعثر له على ترجمة.
(٣)) ترتيب المدارك(٢/ ٤٨٦).
(٤) تقدم الحديث عن الكتابين.
(٥) باحث تونسي .
(٦) هو: أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي المعروف بالمعلم، كان ثقةً فاضلاً ورعاً نزيهاً عابداً، سمع من سحنون والصمادحي، توفي سنة ٣٨٤هـ وقد زاد على التسعين.
مصادر ترجمته: معالم الإيمان (٢/ ٢٠٠-٢٠١) رقم: ١٣٠، رياض النفوس(١/ ٤٧٣-٤٧٤) رقم: ١٥٤.

ويشير الدكتور الطالبي أن لهذين الكتابين أهمية كبيرة[١].

أما **الكتاب الأول**: فينكر فيه المؤلف رأي القدرية، ويرد رأي الجبرية كذلك، ويوصي فيه بعدم الصلاة خلف واحد من أتباع هذين المذهبين، ويظهر من الكتاب تمسك صاحبه بمذهب مالك رحمه الله، فهو يحذر من البدع ويندد بأصحابها وينقل عن عدد كبير من الصحابة والتابعين وتابعيهم آثاراً في الدفاع عن السنة، وعلى هذه الآثار يبني قوله بعدم قدرة الإنسان، وعجزه التام عن فعل شيء بمفرده إلا بمعونة من الله تعالى. ويبين بأن الله علم ما هو خالق، وما الخلق عاملون، ثم كتبه.

وأما **الكتاب الثاني**: فهو يختلف عن الأول من حيث المنهج، حيث يقل اعتماده على الآثار كثيراً، بينما يلاحظ تعمقه الكبير في مناقشة آراء المعتزلة مناقشة عقلية فلم يكتف بعرض الآثار كما فعل أحمد بن يزيد، بل حاول أن يقارع خصمه بالحجج العقلية، فهو يرد عليهم في زعمهم بأن الله خلق الخير وأمر به، ولم يخلق الشر ولو خلقه لأمر به، وزعمهم هذا يؤدي بهم إلى أن هناك إلهين: إلهاً للخير وإلهاً للشر، كما هو رأي المنانية[٢] والزنادقة، ويبين أن مذهب أهل السنة والجماعة هو الذي يقول بأن الله هو الخالق الأوحد، كل شيء منه الخير والشر، قدر كل ذلك وكل من ادعى غير ذلك فليس بمسلم.

ويرد عليهم أيضاً في زعمهم أن الله لا يعلم الأشياء إلا حال وقوعها، ويعتمد في رده على النقل والعقل في آن واحد، ويعيب عليهم أولاً اقتصارهم على القرآن دون

---

(١) هذان الكتابان ذكرهما محمد الطالبي ضمن مقال له عن الاعتزال باللغة الفرنسية(الجديد عن الاعتزال) نشره في كتاب له بعنوان «دراسات في تاريخ إفريقية في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط» منشورات الجامعة التونسية سنة ١٩٨٢، ص ٣٧٩-٤١٩.
والكتابان: يوجدان ضمن المكتبة العتيقة بالقيروان .

(٢) المانوية ويقال المنانية، يقول الشهرستاني في تعريفهم في كتابه الملل والنحل (١/ ٢٢٤): "هم أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى ابن مريم عليه السلام، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة عيسى عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم: أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما: نور، والآخر: ظلمة، وأنهما أزليان لم يزالا ولن يزالا. وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم".

السنة. والقرآن حمَّال ذو وجوه، لذلك فلا يكفي الاقتصار عليه، بل لا بد من وجود السنة إلى جانبه حتى نفهم المقصود من خطابه، فللسنة أهمية عظيمة لا تقل عن أهمية القرآن، وهي أيضاً وحي من الله تعالى، ولو أن المسلمين اقتصروا على القرآن وحده لما عرفوا كيف يصلون، ولا كيف يزكون، ولا كيف يعبدون الله، ثم إن القرآن نفسه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ وجعل طاعته طاعة لله تعالى.

ويلاحظ من الكتابين أنه لم يرد فيهما ذكر لأئمة الاعتزال في المشرق، كواصل بن عطاء والعلاف والنظّام، ولا لأعلام الاعتزال في المغرب، إنما كان اهتمامهما منصباً على رؤوس الفتنة، كجهم بن صفوان وغيلان الدمشقي وبشر المريسي في المشرق، والفراء في المغرب.

وممن تعرض في مصنفاته لآراء المعتزلة بالتفنيد والإبطال: الإمام ابن عبد البر في عدة مواضع من كتابه التمهيد وغيره من مصنفاته وناقشهم في قضايا الاعتزال ورجاله، فهو يذكر مثلاً من أعلامهم إبراهيم بن سيار النظام، وجعفر بن حرب[(١)]، وجعفر بن مبشر[(٢)]، ومحمد بن عبد الله الإسكافي[(٣)] ويقول: "وهؤلاء معتزلة، أئمة في الاعتزال عند منتحليه"[(٤)].

ويقول في موضع آخر: "بشر بن المعتمر[(٥)] وأبو الهذيل من رؤساء المعتزلة وأهل

(١) هو: جعفر بن حرب الهمذاني من أئمة المعتزلة ونساكهم، من أهل بغداد أخذ الكلام عن العلاف بالبصرة وله مؤلفات كثيرة في علم الكلام توفي سنة ٢٣٦هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢-١٦٣) رقم: ٣٦٠٩، ميزان الاعتدال (١/ ٤٠٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٩-٥٥٠) رقم: ١٨١ ، لسان الميزان (٢/ ١١٣) رقم: ٤٥٦.

(٢) هو: جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي، متكلم من كبار المعتزلة، له آراء انفرد بها وله تصانيف، وكان ذا خطابة وبلاغة وزهد، توفي سنة ٢٣٤هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢) رقم: ٣٦٠٨، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٩) رقم: ١٨٠، لسان الميزان (٢/ ١٢١) رقم: ٥٠٧.

(٣) هو: أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي البغدادي، أحد متكلمي المعتزلة كان خياطاً، وأخذ الكلام عن أبي جعفر بن حرب، وكان ذكياً، له عدة مصنفات في الكلام توفي سنة ٢٤٠هـ.
مصادر ترجمته: تاريخ بغداد (٥/ ٤١٦) رقم: ٢٩٢٩، لسان الميزان (٥/ ٢٢١) رقم: ٧٧٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٢).

(٥) هو: أبو سهل بشر بن المعتمر البغدادي، أحد متكلمي المعتزلة، وإليه تنسب الطائفة البشرية من =

الكلام" ويصف بشر بنَ غياث بأنه مبتدع[١].

كما أن مناقشته لهم تدل على علم ومعرفة بمذهب الاعتزال، وقد تركزت مناقشته لهم على أهم القضايا التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، فناقشهم في تأويلهم الاستواء في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] بالاستيلاء، وهو في مناقشته لهم لا يرد على المعتزلة فحسب، بل على جميع الطوائف الذين يذهبون مذهبهم في التأويل كالأشعرية وغيرهم.

فيبين بأن قولهم في الاستواء: استيلاء، تأويل باطل لا تقوم به حجة ولا معنى له " لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد المجاز "[٢].

ثم يأتي إلى ما احتجوا به من الآيات في زعمهم، فيبين وجه الحق منها وأنها لا تخدمهم لأنها بعيدة عن تأويلهم كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، وقوله عز من قائل: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

فيقول بعد إيراد هذه الآية: "وزعموا أن الله تبارك وتعالى في كل مكان بنفسه وذاته لهذه الآيات"[٣] فيبطل هذا الزعم، وهذا التأويل الفاسد، ويبين بأن المراد من هذه الآيات أنه تعالى: "في السماء إله معبود من أهل السماء وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض" قال: "وكذلك قال أهل العلم بالتفسير"[٤].

ثم يفند شبهتهم الأخرى التي يتمسكون بها وهي هذه المرة شبهة عقلية حيث يقولون: "إنه لو كان في مكان لأشبه المخلوقات، لأن ما أحاطت به الأمكنة واحتوته: مخلوق

= المعتزلة، له مصنفات عدة في الاعتزال، وله قصيدة من أربعين ألف بيت رد فيها على المخالفين توفي سنة ٢١٠هـ.

مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٣) رقم: ٤٦، لسان الميزان (٢/ ٣٣) رقم: ١١٥، الملل والنحل (١/ ٦٣).

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٦٣).

(٢) التمهيد (٧/ ١٣١).

(٣) التمهيد (٧/ ١٣٤).

(٤) نفس المصدر (٧/ ١٣٤).

"بأن هذا الشيء لا يلزم ولا معنى له لأنه: "عز وجل ليس كمثله شيء من خلقه، ولا يقاس بشيء من بريته، ولا يدرك بقياس ولا يقاس بالناس، ولا إله إلا هو، كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة والسماوات والأرض وما بينهما وهو الباقي بعد كل شيء"[١].

ويفند ما استدلوا به أيضاً من تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] بأنه "استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان "بأنه قول في غاية التهافت من حيث السند إلى ابن عباس، فيقول: "إن هذا الحديث منكر عن ابن عباس، ونقله مجهولون ضعفاء، فأما عبد الله بن داود الواسطي[٢] وعبد الوهاب بن مجاهد[٣] فضعيفان، وإبراهيم بن عبد الصمد مجهول لا يعرف[٤]، ثم هناك مطعن آخر يطعن به ابن عبد البر على استدلالهم بهذا الأثر، وهو أنهم "لا يقبلون أخبار الآحاد العدول فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا من الحديث لو عقلوا وأنصفوا"[٥].

كما ناقشهم في مسألة رؤية الله تعالى في الآخرة، ونفيهم لها، واحتج عليهم بقوله سبحانه لموسى عليه السلام: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣] فهذه الآية كما يقول: "فيها دلالة واضحة على أنه تعالى يُرى في الآخرة إذا شاء، ولم يشأ ذلك في الدنيا بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ووجه الدلالة من آية الأعراف أن الله علق الرؤية على أمر ممكن حصوله وهو استقرار الجبل، ولو كانت الرؤية مستحيلة لعلقها بأمر مستحيل، كما فعل في دخول الكافرين الجنة حيث علقها بأمر مستحيل وهو دخول الجمل في سم الخياط.

---

(١) نفس المصدر (٧/ ١٣٤).

(٢) هو: أبو محمد عبد الله بن داود الواسطي النجار، قال الإمام البخاري: فيه نظر، وقال النسائي: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي في حديثه مناكير، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج بروايته. انظر عنه: الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٦٤)، المجروحين لابن حبان (٢/ ٣٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤١٥-٤١٦) رقم: ٤٢٩٤، تقريب التهذيب (ص ٣٠٢) رقم: ٣٢٩٨.

(٣) هو: عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر المكي متروك كذبه الثوري. وقال أحمد: ليس بشيء، ضعيف. وقال النسائي: متروك. انظر: الضعفاء والمتروكين للنسائي (ص ٦٩)، المجروحين لابن حبان (٢/١٤٦)، ميزان الاعتزال (٢/ ٦٨٢-٦٨٣) رقم: ٥٣٢٤، تقريب التهذيب (ص ٣٨٨) رقم: ٤٢٦٣ تحقيق عوامة.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) التمهيد (٧/ ١٣٢).

وهناك أدلة أخرى غير هذا الدليل تؤكد الرؤية بما لا يدع مجالاً للشك أو الريبة وهي قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. يقول ابن عبد البر في توجيه هذه الآية: "وإنما منعوا منها في الدنيا، لأن عيون الخلائق لم تعط تلك القوة التي بها يستطيعون النظر إلى الله، وعلى هذا التأويل في هذه الآية جماعة أهل السنة وأئمة الحديث والرأي"[١].

وفي معرض التشنيع عليهم ووصمهم بما هم أهله من البدعة والضلال يقول عند شرحه لحديث الحوض[٢]، الذي يرده المؤمنون المتبعون لسنة النبي عليه الصلاة والسلام، ليشربوا منه شربة لا يظمؤون بعدها أبداً ـ جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ـ . وعند قوله عليه الصلاة والسلام فيمن يذادون عن الحوض، لأنهم بدلوا وغيروا بعده ﷺ: "فسحقاً" يقول: "وكل من أحدث في دين الله ما لا يرضاه ولم يأذن به الله فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه ـ والله أعلم ـ، وأشدهم طرداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم مثل الخوارج على اختلاف فرقها والروافض على تباين ضلالها والمعتزلة على أصناف أهوائها فهؤلاء كلهم يبدلون ..." إلى آخر كلامه في هذا المعنى[٣] ويقول في موضع آخر: "كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع: الخوارج والمعتزلة والجهمية وسائر فرق المبتدعة، وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار فيؤمنون بذلك كله ويصدقونه وهم أهل الحق"[٤].

ومرة يذكرهم ببدعتهم دون التصريح باسمهم فيقول عند شرحه لحديث الشفاعة: "والجماعة وأهل السنة على التصديق بها، ولا ينكرها إلا أهل الابتداع"[٥].

وممن تناول آراء المعتزلة بالنقد وتناول رجالهم بالطعن عليهم والتسفيه لمذهبهم: الإمام أبو عمرو الداني، حيث انتظمهم في قصيدة طويلة وأعلن زيغهم وانحرافهم، وبين

---

(١) التمهيد (٧/ ١٥٧) وهو يشبه كلام الإمام مالك رحمه الله إلى حد بعيد، راجع حديثنا عن عقيدة الإمام مالك (ص ٤٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) التمهيد (٢٠/ ٢٦٢).

(٤) التمهيد (١٩/ ٧٠).

(٥) التمهيد (١٩/ ٦٩) وهذا الكلام يصدق على المعتزلة والخوارج في آن واحد، لأنهم جميعاً ينكرون الشفاعة.

مذهب أهل السنة في القرآن، وأنه كلام الله المنزل من عند الله ليس بخالق ولا مخلوق حيث يقول:

والقول في كتابه المفصل ... بأنه كلامه المنزل
على رسوله النبي الصادق ... ليس بمخلوق ولا بخالق
من قال فيه إنه مخلوق ... أو محدث فقوله مروق
والوقف فيه بدعة مضلة ... ومثل ذاك اللفظ عند الجلة
كلا الفريقين من الجهمية ... الواقفون[١] فيه واللفظية[٢]
أهون بقول جهم الخسيس ... وواصل وبشر المريسي
ذي السخف والجهل وذي الفساد ... معمر وابن أبي دؤاد[٣]
وابن عبد شيخ الاعتزال ... وشارع البدعة والضلال
والجاحظ القادح في الإسلام ... وجبت هذي الأمة النظام
والفاسق المعروف بالجبائي[٤] ... ونجله السفيه ذي الخناء[٥]

---

(١) الواقفون: ويقال لهم: الواقفة؛ وهم الذين لا يقولون: إن القرآن مخلوق ولا غير مخلوق.انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٢/ ٢٤٦) طبعة مكتبة النهضة المصرية (الطبعة الأولى ١٣٧٣/ ١٩٥٤)تحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) اللفظية: هم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، وهم في ذلك يجرون مجرى القائلين بخلقه. نفس المصدر (٢/ ٢٤٦)

(٣) هو: أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد بن جرير بن مالك الإيادي القاضي ولد سنة ١٦٠هـ في بلدة قنسرين، وقدم به أبوه إلى دمشق فطلب العلم وصحب هياج بن العلاء السلمي من أصحاب واصل بن عطاء فصار إلى الاعتزال. اتصل بالمأمون والمعتصم والواثق، وكان مقرباً لديهم. وهو الذي حملهم على امتحان الناس بخلق القرآن. توفي سنة ٢٤٠هـ ببغداد مفلوجاً.
مصادر ترجمته: وفيات الأعيان (١/ ٨١-٩١) رقم: ٣٢، تاريخ بغداد (٤/ ١٤١-١٥٦) رقم: ١٨٢٥، لسان الميزان (١/ ١٧١) رقم: ٥٤٧، الأعلام للزركلي (١/ ١٢٤).

(٤) هو: أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي البصري المعتزلي، متكلم مفسر، ولد بجبا بخوزستان سنة ٢٣٥هـ وإليه تنسب الطائفة الجبائية، وتوفي بالبصرة سنة ٣٠٣هـ، ودفن بجبا، من آثاره: تفسير القرآن.
مصادر ترجمته: الملل والنحل (١/ ٧٨-٨٥)، المنتظم (٦/ ١٣٦)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٧-٢٦٩) رقم: ٦٠٧، سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٨٣-١٨٤) رقم: ١٠٢، شذرات الذهب (٢/ ٢٤١).

(٥) نجلة: هو أبو هشام عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهاب البصري المتكلم المشهور. قال=

والـلاحـقـي[(١)] وأبـي الـهـذيـل مـؤيـدي الـكـفـر بـكـل ويـل
وذي الـعـمـى ضـرار[(٢)] الـمـرتـاب وشـبـهـهـم مـن أهـل الارتـيـاب

وهي أبيات تكشف عن مدى الكره والبغض الذي يكنه أهل السنة لأهل الأهواء والبدع.

وممن تناولهم بالرد أيضاً: الإمام ابن بطال في شرحه لصحيح البخاري عند تناوله للأحاديث المتعلقة بمسائل العقيدة. ومنها ما تتعلق برؤية الله تعالى في الآخرة التي ينكرها المعتزلة، فنجده يفند ويبطل ما تمسكوا به، من أن الرؤية توجب كون المرئي محدثاً وحالًّا في مكان "فيبين بأن استدلالهم هذا "فاسد لقيام الأدلة على أن الله تعالى موجود، والرؤية في تعلقها بالمرئي بمنزلة العلم في تعلقه بالمعلوم، فإذا كان تعلق العلم بالمعلوم لا يوجب حدوثه فكذلك المرئي.

ثم يأتي إلى الأدلة الأخرى التي تمسكوا بها وهي قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾. فأما الدليل الأول، فمعناه "أنه لا تدركه الأبصار في الدنيا، جمعاً بين الدليلين الآتيين، وبأن نفي الإدراك لا يستلزم نفي الرؤية لإمكان رؤية الشيء من غير إحاطة بحقيقته".

وأما الدليل الثاني وهو قوله تعالى ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾: "فالمراد في الدنيا جمعاً أيضاً، ولأن نفي الشيء لا يقتضي إحالته"[(٣)].

ولكن أحسن من وجدته ناقش مسألة الرؤية هذه من علماء المغرب هو: الإمام ابن حزم رحمه الله، حيث بيّن تهافت أدلتهم التي تمسكوا بها بناءً على أصلهم الفاسد الذي أصلوه لأنفسهم.

= عنه الذهبي: هو شيخ المعتزلة وابن شيخهم. توفي ببغداد سنة: ٣٢١ هـ.
مصادر ترجمته: العبر (٢/ ١٢) طبعة دار الكتب العلمية (١٤٠٥/ ١٩٨٥)، تاريخ بغداد (١١/ ٥٥-٥٦) رقم: ٥٧٣٥، المنتظم لابن الجوزي (٦/ ٢٦١)، لسان الميزان لابن حجر (٤/ ١٦).

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) هو: ضرار بن عمرو من رؤوس المعتزلة وشيخ الضرارية، كانت له مقالات خبيثة، فيها أن الجنة والنار غير مخلوقتين الآن. وقال عنه ابن حزم: كان ضرار ينكر عذاب القبر شهدوا عليه بالزندقة وأبيح دمه. قال الذهبي: له تصانيف كثيرة تؤذن بذكائه.
مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٤٤-٥٤٦) رقم: ١٧٥، ميزان الاعتدال (٢/ ٣٢٨-٣٢٩) رقم: ٣٩٥٢، لسان الميزان (٣/ ٢٠٣) رقم: ٩١٢، الفرق بين الفرق (٢٠١).

(٣) انظر فتح الباري (١٣/ ٤٢٦) نقلاً عن شرح ابن بطال لصحيح الإمام البخاري.

فبين أن قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] الذي استدلوا به على مذهبهم لا تقوم لهم به حجة "لأن الله إنما نفى الإدراك، والإدراك في اللغة معنى زائد عن النظر، وهو بمعنى الإحاطة، وليس هذا المعنى في النظر والرؤية، فالإدراك منفي عن الله تعالى على كل حال في الدنيا والآخرة".

والدليل على أن الإدراك في الآية ليس بمعنى الرؤية قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١ ـ ٦٢].

ففرق الله بين الإدراك والرؤية فرقاً جلياً، لأنه تعالى أثبت الرؤية بقوله: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ وأخبر تعالى أنه رأى بعضهم بعضاً، فصحت منهم الرؤية لبني إسرائيل، ونفى الله الإدراك بقول موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [1].

وهذا المعنى الذي قرره ابن حزم رحمه الله هو الذي ذهب إليه أئمة العلم إذ قالوا: "إن الله عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه، وذلك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته، وذلك كله محال في أوصاف الله تعالى، والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الرائي بالمرئي ويبلغ غايته، وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣][2].

كما ناقش الإمام ابن حزم من تعسف من المعتزلة، وحمل كلام الله على غير ظاهره وهو أبو علي الجبائي الذي زعم أن حرف الجر" إلى "في قوله تعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٣٣] ليست بحرف جر، لكنها واحدةُ الآلاء، وهي واحدة النعم فهي موضع مفعول. ومعناه" نعم ربها منتظرة".

فيبطل ابن حزم هذا الزعم، ويبين تهافته من وجهين: **الأول:** "أن الله تعالى أخبر أن تلك الوجوه قد حصلت لها النظرة وهي النعمة، فإذا حصلت لها فبعيد أن ينتظر ما قد حصل لها، وإنما ينتظر ما لم يحصل بعد".

الثاني: "ما تواتر من الأخبار عن النبي ﷺ ببيان أن المراد بالنظر الرؤية لا ما تأوله المتأولون.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ١).

(٢) المحرر الوجيز (٦/ ١٢٣).

كما يبطل قولهم: إنها من الانتظار، أي: منتظرة لثواب ربها، من جهة اللغة، "لأنه لا يقال في اللغة: نظرت إلى فلان، بمعنى انتظرته"[(١)].

وممن تناول آراء المعتزلة بالرد والنقض: الإمام المازري في كتابه «المعلم في فوائد مسلم» في مواضع متفرقة منه، عند شرحه للأحاديث المتعلقة بالجانب العقدي، ففي شرحه لحديث: "**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**"[(٢)]، يقول: اختلف الناس فيمن عصى من أهل الشهادتين، فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان، وقالت الخوارج: تضره المعصية ويكفر بها، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن، وإن لم يغفر له وعذب فلا بدّ من إخراجه من النار وإدخاله الجنة".

قال المازري بعد عرض رأي كل فرقة: "وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة"[(٣)] ويرد قولهم هذا في موضع آخر عند شرح قوله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[(٤)] حيث يقول: "قيل: معنى مؤمن، أي: آمن من عذاب الله، ويحتمل

---

(١) الفصل (٣/ ٣).

(٢) يأتي تخريجه.

(٣) المعلم (١/ ٢٨٩-٢٩٠).

(٤) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم (باب النهي بغير إذن صاحبه) رقم الحديث: ٢٤٧٥، فتح الباري (٥/ ١١٩) وفي كتاب الأشربة (باب إنما الخمر والميسر...) رقم الحديث: ٥٥٧٨ فتح الباري (١٠/ ٣٠) وفي الحدود (باب السارق حين يسرق) رقم: ٦٧٨٢ الفتح (١٢/ ٨١) وباب (إثم الزناة) رقم: ٦٨٠٩، ٦٨١٠ الفتح (١٢/ ١١٤)، وأخرجه مسلم في الإيمان (باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي) رقم: ٥٧ صحيح مسلم (١/ ٧٦-٧٧)، وأبو داود في كتاب السنة (باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) رقم: ٤٦٨٩ سنن أبي داود (٤/ ٢٢١)، والترمذي في الإيمان (باب لا يزني الزاني وهو مؤمن) رقم: ٣٩٣٦ السنن (٥/ ١٧)، وابن ماجه في الفتن (باب النهي عن النهبة) رقم: ٣٩٣٦ سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٩٨-١٢٩٩)، والدرامي في كتاب الأشربة (باب في التغليظ لمن شرب الخمر) (٢/ ١١٥).وتمام الحديث «**ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن**».

أن يحمل على أن معناه أن يكون مستحلاً لذلك. وقيل : معناه كامل الإيمان " قال : وهذه التأويلات تدفع قول المعتزلة : إن الفاسق الملِّي لا يسمى مؤمناً، تعلقاً منهم بهذا الحديث، وإذا احتمل ما قلناه لم تكن لهم فيه حجة "(١).

وفي موضع آخر عند قوله عليه الصلاة والسلام : "**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**"(٢).

يقول : "في الحديث رد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة ؛ لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل لا بد أن يعذبه"(٣).

كما رد عليهم في قولهم بالواجب العقلي، وكذلك رد عليهم في مسألة رؤية الله تعالى يوم القيامة ونفيهم لها(٤).

---

(١) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٢٩٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان (باب : حدثنا أبو اليمان...) رقم : ١١ الفتح (١/ ٦٤).
وفي كتاب مناقب الأنصار (باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ بمكة وبيعة العقبة) رقم : ٣٨٩٢ الفتح (٧/ ٢١٩).
وفي كتاب الحدود (باب الحدود كفارة، وباب توبة السارق) رقم : ٦٧٨٤، ٦٨٠١ الفتح (١٢/ ٨٥، ١٠٨).
وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الحدود (باب الحدود كفارات لأهلها) رقم : ١٧٠٩ صحيح مسلم (٣/ ١٣٣٣-١٣٣٤)، والنسائي في البيعة (باب ثواب من وفى بما بايع عليه) (٧/ ١٤٤)، والدارمي في كتاب السير (باب في بيعة النبي ﷺ) (٢/ ٢٢٠).

(٣) فتح الباري (١/ ٧٥).

(٤) تجدر الإشارة هنا إلى أن مقاومة الاعتزال استمرت في المراحل التالية لمرحلتنا حيث تذكر كتب التراجم أنه لما دخلت كتب الزمخشري وبخاصة كتابه «الكشاف» إلى الأندلس أنكر علماء السنة على من جلبه إليها من المشرق، كما فعل الإمام الفقيه أبو الحسين محمد بن محمد بن زرقون رحمه الله الذي كان من مفاخر إشبيلية وكان شيخ المالكية في عصره، حيث كان ينعى على أبي العباس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي (ت ٦٤٣هـ) جلبه كتاب =

ومن رد عليهم: أبو عبد الله محمد بن الفتح المرجي المعروف بابن الصواف[١]. الذي رد عليهم في إنكارهم الكرامات الثابتة لأولياء الله حيث يقول: "إن القول بالكرامات رد على المعتزلة وبغض فيهم وما أدركت أحداً أقتدي به في ديني بالمشرق ولا بالمغرب إلا وهو يقول بالكرامات ويتزين بذكرها في كل الأوقات"[٢].

ولعل بهذا أكون قد وضحت حقيقة الصراع العقدي بين علماء المغرب السنيين وبين المعتزلة، وقد بينت مدى مقاومتهم لهم، واتخاذهم الوسائل العديدة في الدفاع عن السنة ضد المبتدعين من أهل الكلام.



= «الكشاف» للزمخشري إلى الأندلس لما تضمنه من المذهب الاعتزالي وقال: "قد كانت الأندلس منزهة عن هذا وأشباهه، ولم يزل أهلها على مرور الأيام أغنياء عن النظر في مثله وإن في غيره من تصانيف في التفسير غنية عنه".
انظر الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للمراكشي (١/ ١/ ٣٠/ ٣١). وممن انتقد كتاب «الكشاف» من المغاربة، أبو بكر يحيى بن أحمد السكوني (ت ٦٢٦هـ) في كتابه «الحسنات والسيئات» الذي انتفى فيه مستطرف غرائبه البيانية وأبدى أيضاً ما تضمنه من سوء انتحاله في ركيك اعتزاله.
انظر نيل الابتهاج (ص ٣٥٥).
وذكر أبو علي السكوني في كتابه «التمييز لما أودعه الزمخشري من الاعتزال في الكتاب العزيز». نيل الابتهاج (ص ١٩٥).
وانظر ما نظم في الرد عليه من شعر في أزهار الرياض (٣/ ٢٩٨-٣٢٣).

(١) ترجمته في رياض النفوس (٢/ ٣١٣-٣١٦) رقم: ٢٣١، معالم الإيمان (٣/ ٣٨-٣٩) رقم: ١٩٥.
(٢) رياض النفوس (٢/ ٣١٤).